

إهــــــــداء2005

الكاتب الإعلامي/ فاروق خورشيد

القاهرة

الفــائــزون

مسابقة

نجلاء محمود محرم

الدورة الثانية ٢٠



- مركز الحضارة العربية مؤسسة ثقافية مستقلة ، تستهدف المشاركة فى استنهاض وتأكيد الانتماء والوعى القومى العربى، فى إطار المشروع الحضارى العربى المستقل .
- يتطلع مركز الحضارة العربية إلى التعاون والتبادل الثقافى والعلمى مع مختلف المؤسسات الثقافية والعلمية ومراكز البحث والدراسات ، والتفاعل مع كل الرؤى والاجتهادات المختلفة
- يسعى المركز من أجل تشجيع إنتاج المفكرين والباحثين والكتاب العرب ، ونشره وتوزيعه .
- يرحب المركز بأية اقتراحات أو مساهمات إيجابية تساعد على تحقيق أهدافه .
- الآراء الواردة بالإصدارات تعبر عن آراء كاتبيها ، ولا تعبر بالضرورة عن آراء أو اتجاهات يتبناها مركز الحضارة العربية .

رئيس المركز

على عبد الحميد

مدير المركز

محمود عبد الحميد

مركز الحضارة العربية
٤ ش العلمين - عمارات الأوقاف
ميدان الكيت كات - القاهرة
تليفاكس : ٣٤٤٨٣٦٨

مسابقة

نجلاء محمود محرم

الدورة الثانية ٢٠٠٢

الفائزون



الكتاب : الفائزون
مسابقة
نجلاء محمود محرم
الدورة الثانية ٢٠٠٢

الكاتب : مجموعة من المتسابقين

الناشر : مركز الحضارة العربية

الطبعة الأولى : القاهرة ٢٠٠٢

رقم الإيداع : ٢٠٠٢/١٤١٥٤
الترقيم الدولى : I.S.B.N.977-291-398-4

تصميم الغلاف : هيثم جمال سعدة

الجمع والصف الالكترونى :
وحدة الكمبيوتر بالمركز
تنفيذ : أحمد أمين
تصحيح : زكريا منتصر

تقارير لجنة التحكيم

تقرير

الأستاذ / يوسف الشارونى

هذه المجموعة حفل أدبى متميز، لبى الدعوة للمشاركة فيه نخبة من شباب مصر ممن وهبوا نعمة الإبداع . زحامهم على الحفل وعلى تقديرات التحكيم المتفوقة التى تقاربت فتصادمت، بصيص تفاؤل لا تخطئه العين . فهذه الأقلام استطاعت أن تشق طريقها بنجاح رغم ما يتردد عن سلبيات التعليم والاقتصاد والمناخ السياسى فى عالمنا العربى فى فترة من أحرج فتراتنا التاريخية ، بل لعل شبابنا الموهوب استلهم هذا المناخ كما تستمد الثمرة حلاوتها والزهرة جمالها من طين الأرض وسباخها، فهو الذى شحن وجدانهم بشحنة مضاعفة من الاحتجاج فالإبداع فالتفوق .

صحيح أننى قرأت خمسين قصة من الواضح أنها اختيرت من بين أربعمائة قصة تقريبًا قدمت للمسابقة، لا تكاد تجد فيها خطأً لغويًا . تلك خطوة أولى أثارت انتباهى وسط الفوضى التى أصيبت بها لغتنا العربية، تلاها تطويع هذه اللغة لتشكل نسيجًا يلتحم بالنص القصصى، لا يمكن فصله لتحكى حدوتة مستقلة .

كما أثار انتباهى ــ فضلاً عن سلامة اللغة وحسن توظيفها فنيًا ــ سمات الكتابة المعاصرة للقصة القصيرة والتى تتلخص فى هذه المجموعة فى ثلاث سمات : الأولى ما يعرف بالقصة النص، فهناك عدد لا بأس به من القصص يتميز بقصره ــ لا يزيد حجم القصة عن صفحة أو أقل قليلاً أو أكثر قليلاً ــ يتوارى فيه الحدث خلف أسلوب مكثف يشف ولا يفصح . وهناك عدد أقل يمكن أن

يندرج فيما يطلق عليه القصة القصيدة تتميز باقترابها الواضح من روح الشعر سواء فى مفرداتها أو أخيلتها ، وإن تحررت من الأوزان والقافية ، يسرى فيها خيط قصصى رهيف، فيلتحم القص والشعر فى عناق حميم .

أما أكثر السمات شيوعاً فهى سيطرة الفنتازيا على الواقع، فالوعى الكامن فى خلفية معظم هذه القصص أن الفن له عالمه الخاص وإن كان مستمدًّا من تلاقى الوجودين : الوجدانى والواقعى، لكنه ليس أيهما . فأنت تعيش فى معظم القصص فى عالم الحلم أو الكابوس أو الهذيان أو حلم اليقظة .. تمرد على قواعد المنظور وإغارة متواصلة على الحدود، بحيث تتسع تجربة المتلقى حين يغريه المبدع لمشاركته فى اقتحام عوالم مجهولة لا يمكن اكتشافها إلا عن طريق الفن .

تهنئتى لكل من قرأت لهم فى هذه المسابقة فكلهم فائزون، ومن حصدوا الجوائز ليسوا إلا قمة جبل الإبداع العائم .

يوسف الشارونى

تقرير

الأستاذ / محمد محمود عبد الرازق

لكـــى نفهـــم الجديد، لابد أن نعرف القديم . والجديد منذ أواخر القـــرن الثامـــن عشـــر وحـــتى منتصف القرن التاسع عشر كان الرومانتيكية . ويفرق ستاندال بينها وبين الكلاسيكية فيقول : " هى الفن الذى يقدم أعمالا تحدث أكبر قدر مستطاع من المتعة الموائمة لظروف المتلقى العقلية وعاداته ومعتقداته . أما الكلاسيكية فتقدم له ما استطاع إحداث أكبر قدر مستطاع من المتعة لأجداده " . ونحن نشـــعر بالارتـــياح ــ على أقل تقدير ــ فى حضرة ما استمتع به أجدادنـــا كمـــا يقول والتر باتر . ويعتمد العصر الكلاسيكى على خاصة الجمع بين الجمال والنظام . وأساس الطابع الرومانتيكى هو الجمال والغرابة . فالجمال هو العنصر الثابت فى كل تنظيم فنى . والمـــزاج الرومانتـــيكى يعـــتمد علـــى إضافة رغبة إشباع حب الاســـتطلاع . وانتقلـــت هـــذه الرغبة إلى الواقعية، وما تلاها من اتجاهات فنية . وما زال عنصر الدهشة يشكل اللبنة الأساسية فى كل بناء فنى .

وتـــنطلق معظـــم قصص مسابقة نجلاء محمود محرم (الدورة الثانـــية ٢٠٠٢) من هذه الروح التى تمنحها الحيوية . وإذا تركنا أنفســـنا علـــى سجيتها فسنتحدث عن كثير منها . وحتى لا يضيق المقـــام بنا اسمحوا لى أن أتحدث عن ثلاث قصص : 3S ، رنين الحنين، وثوب آخر .. وتحدثنا الأولى عن رحلة عمل إلى اليابان، متـــنقلة بين عدة عوالم نقلات سريعة متنوعة . ويتخذ الكاتب من

الفتاة اليابانية التى كلفتها الشركة بمرافقة الراوى، مرتكزًا لنقلاته . والفــتاة شــاعرة ، ومن خلال مقتطفات من قصائدها نشعر بهول الفاجعة ومدى التخريب الذى مازالت تعانى منه النفس اليابانية منذ إلقــاء القنبلتيــن الذريتيــن على هيروشيما و ناجازاكى، رغم كل مظاهر التقدم والرفاهية • ونعود إلىأرض الوطن تارة لنعيش مع أســرة الراوى و مشكلاتها، ومع زملائه فى العمل وأدق تفاصيل حياة بعضهم • وننظر إلى العالم من حولنا ــ تارة أخرى ــ ليؤكد علــى الغــارات الأمريكية على أرضنا العراقية، وتجسس الغرب داخلهــا لصالح إسرائيل • وننظر من داخل هذا البناء التراكمى، فــنراه يعبر أصدق تعبير على الدمار الذى حل بالعالم منذ ارتكاب الرئيس الأمريكى هنرى ترومان الجريمة البشعة .

ونظــل مــع البــناء التراكمى ونحن نقرأ قصة "رنين الحنين" متنقليــن بين فلسطين الماضى القريب و فلسطين الحاضر المرير مــع فلسطينيى الشتات . والقصة كتبت بقلم فلسطينى أصيل تعيش بلاده داخله فكانت مفرداتها الدقيقة وتعبيراتها البيئية المشعة . أما رنين الحنين فهو رنين جرس باب البيت الذى احتله الصهاينة : " عــندما فتحت السيدة الباب إثر رنين الحنين .. ". ويتذكر الراوى طوافــه فــى بــلاد الله إلى أن وقف أمام الباب : " هاهى عودتى الأولــى بعــد الشتات الطويل، والحزن والفرح والنجاح والفشل، وتخــبطاتى فــى العواصــم وروعة النزق النزوعى الذى يطاول فورانه كل القضبان التى تقمع مروقى، لكنها عودة الزائر السائح، العــائد إلــى نــزوحه الجديــد حتمًا " . لقد أصبح أستاذًا بجامعة أكســفورد لكــنه ما يزال يتوق إلى بيته الحقيقى : " وسط النشوة اللاواعــية المهيمــنة على، تنبعث رائحة القهوة، وقرقعات الجوز والكســتناء مــن داخــل الدار .. ". وصفقت السيدة وزوجها " ذو الأنــف المعقــوف " الــباب فى وجهه وهما يصرخان : " عرفى

ملوخـــلاخ " .. ولابد أنك تكهنت بالترجمة عن العبرية التى أثبتها الكاتب فى الهامش : " عربى قذر " .

أمـــا القصـــة الثالـــثة، فـــتعود بنا إلى عهد الفراعنة، مستعينة بـــالهوامش كســـابقتها . والحق أن الكاتب قدم لنا قطعة من الحياة الفرعونية بروح من عايشها .

محمد محمود عبد الرازق

تقرير

الأستاذ / نبيل عبد الحميد

عندما بدأت فى فحص هذه المجموعة من قصص مسابقة نجلاء محمـــود محرم للقصة القصيرة لعام ٢٠٠٢ .. كنت أتوقع لدرجة الإبـــداع الفنى مستوى معيناً . ولكونـى كُنْتُ عضوًا فى مجموعات فحـــص كثـــيرة ومتنوعة لمثل هذه المسابقات، مثل مسابقة نادى القصـــة، ومســـابقة الـــثقافة الجماهـــيرية، ومسابقة إدارة التوجيه المعـــنوى بالقوات المسلحة .. كل ذلك أعطانى بعض المؤشرات عن المستوى المتوقع للأعمال المتقدمة للمسابقات.

لذلك فقد فوجئت وأنا أبدأ فى فحص هذه المجموعة من الأعمال القصصية بأن مستواها الفنى أرفع بكثير مما كنت أتوقع!

ولقـــد وجدت نفسى مضطرًا لأن أقرأ بعض الأعمال لأكثر من مـــرة، توخـــيًا للدقة والإنصاف " بقدر الإمكان " فى وضعها فى المكـــان الصحيح والمناسب لها ضمن ترتيب أعمال المجموعة فى التقيـــيم، فالـــتقارب الواضح فى مستوى الكثير من الأعمال يُحَمِّل الفـــاحص مســـئولية مرهقة، إن هو حرص على التعامل مع هذه الأعمال بدرجة من الصدق والأمانة .

ولقـــد أشـــفقت على من كان لهم الرأى الفعال فى تصعيد هذه الأعمـــال للمـــرحلة النهائية من السادة الفاحصين، واختيارها من مجمـــوع القصص المتقدمة للمسابقة . فمما لاشك فيه أن "غربلة " هذه الأعمال وتصعيدها للانتقاء النهائى كان أمرًا عسيرًا !

**** أتكلم أولاً عن الإيجابيات الشكلية للمسابقة :**

١- وصلتني الأعمال القصصية المطلوب فحصها للمسابقة بشكل جيد ومحترم، تسلمتها بداخل مظروف معنون باسمي ومرفق نسخة من كتاب الفائزون للدورة الأولى للمسابقة . أيضا مرفق خطاب موجه لشخصي طالبا المشاركة في فحص الأعمال المرفقة، وكشف بهذه الأعمال .

٢- جاء في مقدمة شروط المسابقة ثلاثة شروط غاية في الأهمية .

الشرط الأول : (موضوع المسابقة مفتوح ولجميع الأعمار)، وأهمية هذا الشرط ترجع لكونها تقصر مجال التقييم ومنح الدرجة على عنصر الجودة الإبداعية لفن القصة القصيرة، وبدون أى تدخل من عناصر أو روافد أخرى مزاحمة كشرط السن، أو نوع الموضوع مثلا مما يمكن أن يؤثر على انحراف هذا التقييم .

الشرط الثانى : (ألا يتقدم المتسابق بأكثر من عمل واحد) .. وهذا الشرط يضع المتسابق في بؤرة الحرص الشديد على أن يجود ويدقق ويتخير قبل أن يستقر على العمل الوحيد الذى سيمثله، والذى يمكن أن يتقدم به للمسابقة وذلك كان من أهم العناصر المشاركة في رفع المستوى الفنى لهذه الأعمال .

الشرط الثالث : (لا يلتفت إلى الأعمال المكتوبة بخط اليد).. فاحترام الكاتب لعمله شرط أساسى لاحترام الغير لهذا العمل، وكثيرا ما صادفنى أعمال مكتوبة باليد ويصعب قراءة خطها، مما قد يسبب انحرافاً غير مقصود عند فحصها وتقييمها !

٣- من أهم الإيجابيات الشكلية أيضا طبع ونشر الأعمال الفائزة في كتاب متداول، وبهذه السرعة والاهتمام، ونشر التقرير الفنى لوجهة نظر الفاحص في هذه الأعمال .

وفى هذا المقام فإنى أسوق للمعرفة والاطمئنان معيار تقييمى

لهـذه الأعمـال، وأسـاس وضع الدرجة المناسبة لكل عمل . فقد قسـمت درجة التقييم للعمل على ثلاثة محاور رئيسية تقوم عليهم فنية القصة وهى :

ـ محور الموضوع ..

ـ محور التناول ..

ـ محور اللغة ..

**** ثم أتكلم عن الإيجابيات الفنية للمسابقة :**

عـند تقييمى لمحور الموضوع فى الأعمال المقدمة، رأيت أن أجرى عملية رصد وفصل إحصائى لأعرف اتجاهات المواضيع، فلعل ذلك يعطينا مؤشرًا ما لاتجاه الإبداع فى الفن القصصى خلال فترة معينة، ويأخذنا إلى أهم القضايا التى تشغل فكر المبدعين لهذا الفن . وهذه العملية الإحصائية أسفرت عن الآتى :

ـ **المجموعـة الأولـى** .. قصص يتناول جوها العام " القرية المصرية " :

الشـمس .. الجلـباب .. والمجـنون، الضـريح، فـم النهر، خطوطك لا يقرؤها أحد سواك، نقوش على جبين الأيام، هكذا قال الراهب للنصف شيخ، سعد العصفور

ـ **المجموعة الثانية** .. قصص يغلب على جوها العام " الحالة النفسية " :

فى بيت الإسكافى، امرأة لا أحب أن ألقاها، الكابوس، حكايات البـنات، منمـنمات أنـثوية، الركض فوق هضاب الشمس، أشياء باقية.

ـ **المجموعـة الثالـثة** .. قصـص يغلـب على جوها العام "التعبيرية والفلسفية" :

فصاحة الروح ، الظلام، شئ من الخـوف يكفـى أحيانـا ،

وفـــيم أنـــت تفكر، شتلات، فيش وتشبيه، رنين الحنين، دماغيات، أوراق متساقطة من دفتر يوميات .

ـــ **المجموعـــة الـــرابعة** .. قصـــص يغلـــب على جوها العام " الفانتازيا " :

يضحك مع سبق الإصرار، مرارة، حمار باشا

ـــ **المجموعـــة الخامســـة** .. قصـــص يغلب على جوها العام " الوطنية " :

حكايـــة نصـــحى عبد الحق الفرانونى، رأس صغير يطل من نافذة، أغنيات جنوبية .

هناك بعض القصص لا يمكن تصنيف جوها العام بشكل محدد، وهى قلة .. وأرى أنها غير مؤثرة على نتائج عمليتنا الإحصائية .

والآن إذا نظـــرنا إلى مؤشر اتجاه الإبداع فى المجموعات التى عندنا نكتشف الآتى :

مـــن الملاحـــظ أن الجـــو العام " للقرية " هو الجو السائد فى الموضوعات القصصية تحت الفحص والتقييم . وقد استفاد الكتاب بمعطـــيات البيئة الريفية بشكل واعٍ، فالعلاقات والعادات الموروثة والمفاهيم التراثية والأخلاقية والدينية، ورائحة المكان وخصوصيته وفعل الزمان والطبيعة فى الكائنات الحية والجمادية، كل ذلك نجد معه نوعاً من التعامل والترويض، صاغته أقلام المبدعين فى شكل فنى جيد يترفع على المباشرة والتقريرية بشكل ملحوظ .

الجو العام التالى فى مجموعات الموضوعات القصصية هو جو " التعبـــيرية والفلسفية " . وأغلب هذه الأعمال تتدرج تحت جناح الـــتجارب والاستكشـــافات الإبداعية، ومحاولة تقليد بعض أعمال مـــبدعى القـــص فى فترة الستينيات وأوائل السبعينيات، من ناحية تقطـــيع العمل، والإشارات التلغرافية، والاستهواءات البلاغية فى التراكيب، والتمادى فى استخدام المحسنات وفلسفة الألفاظ وغيرها

.. ممـــا يشكل عبئا على جودة العمل، ويثقل على المتلقى معادلة التجاوب معه !

بدأ دور الجو العام " النفسى " يأتى بعد ذلك . ويلاحظ تأثيرات الخبرة، والدراسات والقراءات الواعية لدى الكتاب واضحة بدرجة جـــيدة على أعمالهم الإبداعية فى هذا المجال . معظم أعمال هذه المجموعة يدور فى فلك الرومانسية والحب المفتقد !

وأخـــيرًا نجـــد جـــو " الفنتازيا " العام يقف على استحياء بين مجموعات الموضوعات، مصاحباً لجو الوطنية العام بنفس الحال، وقد استوقفنى ذلك، لكونه جاء بعيدا عما توقعت !

أهم ما يؤخذ على هذا المحور " محور الموضوع " من سلبيات، أن هـــناك بعـــض الكـــتاب ما يزالون يرون جو القرية المصرية بمنظورها التقليدى المتجمد عند منتصف القرن الماضى، متجاهلين بذلـــك مـــنظور القرية الحديثة، قرية الفيديو والدش والتكنولوجيا المتطورة، وفعل ذلك كله فى الأخلاقيات والعلاقات والاقتصاديات.

كمـــا أن محاولـــة الارتداد لتجارب الستينيات بالنسبة للأعمال الفلســـفية والنفســـية يـــرهق الـــتجارب الحديثة فى مجال الإبداع القصصـــى، ويـــثقلها بمشاكل الترميز والضبابية والتلغيز مما دفع قراء القصة للعزوف عنها زمناً ما تزال آثاره باقية !

معظـــم شـــخوص هذه القصص يعانون من الإحباط وانكسار الـــنفس أمام مشكلات الحياة اليومية، والمتكررة بشكل مطرد بين أفراد الطبقة الواحدة فى المجتمع، وبين الطبقتين المختلفتين . كما أن غياب نظرة التفاؤل عن عيون الشباب، والتوجس من المستقبل، واحـــتلال نظرة اللامبالاة لكل الطموحات، كل ذلك أشاع حالة من التميع فى الصدق الفنى، وصبغه برمادية اللون فى وجدان المتلقى.

فى تقديرى أن التراجع الكمى لأعمال " الفنتازيا "، وبرغم ما قد يحملـــه من مظاهر السلبية، يمثل ظاهرة صحية فى مجال الإبداع

القصصـــى، فغالــباً ما يجنح هذا النوع إلى التمادى فى التهويمات والخـيال وتشـكيل الواقــع بشــكل " كاريكاتورى " فج، قد يفقده مقومات الإبداع الجيد، ويتيح الفرصة لأنصاف وأرباع الموهوبين لــلإدلاء بدلائهــم فــى بئر الإبداع، وبأقل الأدوات الفنية .. لعل وعســى ! وكــل ذلــك يتأتى إن لم ينتبه الكاتب بشكل واعٍ وهو يخوض فى هذا النوع من القص .

الــثلاث قصــص المندرجة تحت هذا التصنيف مكتوبة بحرفية معقولة .

بعكــس ذلــك فــإن الــتراجع الكمى للأعمال " الوطنية " يثير التساؤل .. فمتى يمكن أن تبدع الأقلام مثل هذه الأعمال النابضة، والمعــبرة عن مأساة الوطن العربى، إن لم يكن ذلك فى مثل هذه الأيــام، الــتى تكابد فيها الشعوب العربية والإسلامية قهر المحنة المهينة مع العدو الإسرائيلى ؟!

برغم ذلك فإنى أتوقع تواجدًا متزايدًا ومتميزًا للأعمال الوطنية والثورية فى الفترة القريبة القادمة، خاصة فى مجال إبداع الشباب، وحين يتم التفاعل بدرجة متأنية ومتأصلة فى صدورهم بين جسامة الحدث وانتهاز لحظة المخاض .

القصة التى تميزت فى هذا المحور وبدرجة جيدة، هى قصة " حكاية نصحى عبد الحق الفرانونى " .

***

عــند تقييمى " لمحور التناول " فى الأعمال المقدمة .. لاحظت الآتــى : بــرغم استحلاب المبدعين المشاركين لأفكار .. الموت، والتفسخ النفسى، والشعوذة والدجل، فى بعض القصص، وولوجهم لساحات الموالد والمقابر وغيطان العشق والمؤامرات والجرائم فى أجــواء القــرى المصرية .. وبرغم تقليدية الأفكار فى كثير من الأحــيان، وإحــباط الشخوص وبرودة ردود الأفعال فى القصص

النفسية والفلسفية .. وبرغم محدودية زوايا التصوير ولغة الحوار .. بـــرغم ذلـــك كلـــه فإن التناول الواعى والمتميز لبعض الأقلام المجـــتهدة أضاف مذاقاً خاصًا لكل هذه الأفكار، واستطاع أن يعقد علاقـــة الـــتفاهم بين الكاتب والمتلقى . أيضًا فإن التناول الهادئ الرصـــين بالنسبة للأعمال الوطنية والحماسية ساعد على حمايتها من الانزلاق إلى مطبات المباشرة الفجة، أو الانتفاخ والنشوز إلى طـــبقات الصـــوت العالى ! وإذا نظرنا إلى ذلك النوع من التناول الهـــادئ الرصـــين كمـــا فـــى قصة " حكاية نصحى عبد الحق الفرانونى " .. نجد أن الكاتب استطاع أن يتسرب فى هدوء وتمكن إلى دماغ القارئ ووجدانه، وأن يشده للمشاركة والانشغال بالقضية المطروحة، حتى ليكاد يشعر أنها قضيته الخاصة، وأنه كان يعرفها ويريد أن يتكلم فيها ويبدى الرأى !

يســـتحق كاتـــب هذه القصة اعترافاً مخلصا بتمكنه من أدواته الفنية.

هناك بعض الأعمال " من مجموعتى القصص النفسية والفلسفية " .. والـــتى لاحظـــنا أنهـــا تحمل جينات وراثية لسمات نوع من قصص الستينيات، هذه القصص ولدت مشوهة، جاء تناولها مرتبكاً من حيث افتعال المواقف الدرامية، واللجوء غير المبرر للضبابية والترمـــيز والتلاعب بالألفاظ والتراكيب اللغوية .. وهذا مما يفسد مزاج المتلقى، ويصرفه عن التعامل مع هذا الشكل من القراءة !

كـــان جـــيل الســـتينيات يســـتمرئ هذا النوع من القص نظرًا للظروف السائدة فى ذلك الوقت، على اعتبار أنه شفرة التفاهم "شبه المباحة" بين الكاتب والمتلقى، فى ظروف سلبت فيها حرية التعبير وفرضـــت قبضـــة الرقابة وزنزانة الرأى الواحد . أما وقد أصبح الكاتب يتمتع بحرية التعبير ويمتلك براح التعامل مع الرأى والرأى الآخر .. فما هى الضرورة إذن للهروب لسياسة " اللف والدوران

" وإرهاق دماغ المتلقى فى أعمال تتحدى ذكاءه وتدخله فى متاهات الضباب والترميز وعقد التراكيب اللغوية ؟!

***

أخيرًا نأتى لمحور اللغة ...

واللغة هى أداة التوصيل لما يريد الكاتب أن يقول . وعلى قدر جودتهـا يـتم التوصـيل الجيد لمقولة الكاتب، لفكرته وأحاسيسه وهمومه وتشوقه للحظة اللقاء مع دماغ المتلقى والتفاهم معه .

متوسط مستوى اللغة الفنية لمجموعة قصص المسابقة يصل إلى مـا بعـد المتوسـط .. وبعض هذه القصص يصل مستوى لغتها لدرجـة الامتياز، فهى فى الغالب متماسكة وموحية ومنضبطة فى درجة الصوت .. كما أن لغة الحوار مكثفة وموظفة بدرجة واعية، ومتوازنة مع مجريات السرد .

الشـئ الملفت للانتباه هو قلة الأخطاء النحوية والإملائية فى معظم الأعمال .. وهذا شئ أصبحنا نفتقده فى المسابقات الشبابية.

كان هذا التقرير بعض ملاحظاتى على أعمال المسابقة .

وبكـل المحـبة أتمـنى لهذا النشاط الصادق والفعال كل التقدم والازدهار .

نبيل عبد الحميد

الأعمال الفائزة

حكاية نصحى عبد الحق الفرانونى

جمال سعد محمد
الزرقا - دمياط

(١)

أنـــا نصحى عبد الحق الفرانونى . وهذا عكازى . لانفترق أبدًا فـــى الصـــحو أو النوم . عمرى لمن لا يعرفنى يقل بمقدار عشر سنوات عن عمرى المدون فى بطاقتى الشخصية .

قـــد يســـألنى سائل عن السبب الحقيقى فى عزوفى عن الزواج فأسأله بدورى عن تلك المرأة التى ترتضى أن تسير فى الطرقات مـــع رجل يتراقص كالبندول على عكاز خشبى يستدعى الصداع للرأس .

يقول الناس إن من يسأل لا يتوه .

وقـــد.ســـألت مـــرارًا وتكرارًا عن امرأة جميلة ترتضينى بَعْلاً بمعاش قدره مائة وعشرون جنيهًا فما جاوبنى غير الخواء .

تـــتحدثون عن القسمة والنصيب، وأشاطركم الحديث، لكننى لا أرضى إلا بنصيب الأسد، وأرفض قسمة الغرماء .

فقد خرجت من الحرب بساق واحدة، وكرامة لا تباع، ووضعت أمـــامى صـــورة لحبيبة لم أعثر عليها، ففضلت أن أحتفظ لنفسى بمســـاحة للحلم بدلاً من بيت يسكنه النكد . هذا هو فكرى . ولذلك ظللت وحيدًا فى نظر الناس . يزدحم يومى بالبشر الذين أشاكسهم فتطلع الضحكة من قلبى لسابع " سما " .

(٢)

نعـــم، ياعالم يا هوه . أنا نصحى، وأقترب من الخمسين . فى دولاب ملابســـى أحـــتفظ بوسام قلدنى إياه قائد فرقتى فى احتفال مهيب .

بعـــد توزيـــع الأوسمة ولهط قطع الجاتوه اقترب منى مذيع قد صـــفف شعره بالفازلين، وطلب أن يسجل معى فقرة عن بطولتى فى الحرب .

قـــرب المـــيكروفون من فمى، وأحكم إغلاق زرار الجاكيت، واعتـــبر الأمر منتهيًا، فهو قد حدد هدفه، وعلىّ الامتثال . فامتدت يـــدى بدون إرادة منى، وجذبت رابطة العنق فى هدوء، وقلت له: إن هذا أفضل ؛ فقليل من الفوضى كالملح فى الطعام يمنحه طعمًا فريدًا .

فاســـتطاب المزحة ــ كارها ــ وأدار شريط التسجيل ، فسمع مـــنى مـــا لا يحب . نعم .. قلت له : إنه لا بطولة فى الأمر ولا يحـــزنون وإن المســـألة أن دبابات العدو (الباتون) قد حاصرتنا، وطالبتنا بالتسليم . وإن هذا يعنى فى عرفنا ــ نحن أولاد البلد ــ أن نخلع الفانلة والكلسون . يعنى عيب يصل لدرجة العار .

لذلك اندفعت مع زملائى لدحر الهجوم . واخترقت قذائفنا هيكل الدبابة الفولاذ. وإن هذا أمر عفوى لم أخطط له، ولا ظننته بطولة.

ففـــى الحـــرب إما أن تكون غالبًا أو مغلوبًا . وإن العمر واحد والرب واحد . لذلك اندفعنا لندفع عن أنفسنا هوان الذل .

وإن الـــروح قد بلغت الحلقوم . وياروح ما بعدك روح . لذلك انطلقنا كعاصفة لا تبقى ولا تذر . أردنا الشهادة فكتب الله لنا عمرا جديدًا .

صـــحيح أن المتولى وعزيز صليب والبسطامى قد استشهدوا ، وفقدت ساقا، وانخلع ضلعان للرقيب السرجانى، لكن هـــذه هـــى

الحرب . فأية بطولة تجدها فى دفع الموت عن ذاتك ؟
لم يعجب كلامى المذيع، وقال لى وهو يبتسم فى مودة زائفة :
عليك إن تقول أن صورة الوطن هى التى أملت عليك هذا الفعل .
قلت له بمرارة :
حضــرتك لن تعلمنى الكذب فأنا خرجت من نار الحرب بدون حيطة أو ادعاء . كيف أكذب على الناس ؟
ثــم صارحته أن شكله ناعم، والفازلين يكسو شعر رأسه اللامع بصـــورة تدعونـــى لصفعه . فرمى الميكروفون لمساعد المخرج، وأشار بإصبعه نحوى : فوضوى لعين !

(٣)

ذهبــت مــرة لأشـــاهد النصب التذكارى على مقربة من النيل العظــيم الــذى تحمّــل كثيرًا من بلاوى العربان والفرس والروم والــترك والممالــيك وكــل من ركب حصاناً واشتال سيفاً. قرأت الأســماء مــرة ومرة، ولم أجد اسم المتولى عاكف سلامة، وهذا الجــندى المجند كان فى نفس كتيبتى، وفى السرية التى عبرت فى السادس من أكتوبر .
ذهبــت لمجلس المدينة، ودست على السجاد الأحمر فى الممر الطويل، ويبدو أن دقات عكازى أزعجت السكرتير المحترم، الذى خرج يسأل عن طلبى .
قلت له إن اسم المتولى قد سقط. ولا بد من تصحيح الأمر مهما حصل .
حكيت له عن دفعة الرشاش التى تلقاها المتولى بدلاً منى ، وأنه لو مال بجسده للخلف للحظة، لكنت مكانه فى كشف الأسماء الذى لم يصل لمكتبه .
سألنى: ومالذى يضيرك ؟ اسم وسقط ؟

رددت عليه بانزعاج : كله إلا المتولى عاكف .
وحين علا صوتى خرج رئيس المجلس وشخط فىّ بعد أن عرف سبب غضبى : روح يا شيخ، بلا تخريف .
صدمتنى العبارة . وسألته فى لوم : أنا المخرف ؟
أنا ابن عبد الحق : أسطى الحتة كلها، أصبحت مخرفاً ؟ وأنا الذى اشتال ظهرى صناديق ذخيرة بعدد شعر رأسى، حتى أن عرقاً فى جذعى طق، وما يزال يؤلمنى حتى الآن .
لم يكن مناسباً أن أخبره أن ساقى قد طارت فى الحرب، فالذى لا يرى من الغربال أعمى . ولذلك هبطت السلم سريعًا، ذهبت لسوق العطارين، ابتعت كيلو من الفحم، وذهبت للنصب التذكارى وكتبت اسم المتولى عاكف سلامة بخط كبير بجوار النسر الذهبى .
صحيح أن المطر حين يهطل سيمحوه، والشمس ستبدده بعد أسابيع لكننى عملت ما أظن أنه واجب .

(٤)

أنا نصحى، وجَدّى الفرانونى . سلسال من عائلة معروفة بالجدعنة وشهامة أولاد البلد . لكن فيه عرق ضارب فى العائلة اسمه الرأس الناشفة . تخبط الحجر لو حاد عن الصواب . ليس لى حكاية ولا رواية . فالصحفى المشهور في مدينتنا بالوصولية والتلفيق، زارنى مع مصور بعدسة " زوم " . أخذ لى أكثر من ثلاثة مناظر . ثم أخرج من حقيبته السوداء رزمة ورق لزوم الكتابة . وسألنى بعد أن شرب الشاى : ما حكايتك ؟
قلت : أية حكاية يا أستاذ ؟
قال : تصديك لطابور من دبابات العدو ؟ هل تصف لنا اللحظة ؟
هززت كتفى : أصف شيئًا مر عليه أكثر من ربع قرن ؟

صعب يا أستاذ !

قـــال لى وهو يسبقنى بكتابة عبارات لم أقلها : طبعاً ، أحسستَ أن مصر تتده عليك : أقبل يافتى ، هيا حررنى . قلت له صادقاً : تصـــدق بـــالله .. لاشئ من هذا حدث . المسألة وما فيها إن انت سايب وراك أمك وأبوك وعيلتك . صحيح ؟

رد فى عصبية : صحيح

استطردت : انت لازم تخاف على الناس دول ؟ وتقف فى وجه من يريد إذلالهم . صحيح ؟

كرر بعصبية أشد : صحيح

تلـــون وجهـــى بالغضب : إنما حكاية إن مصر ندهت ده كلام بـــتاع كتب . اسمع يا أستاذ احنا بتوع ربنا . والبلد دى بنحبها لله فـــى لله . يعنى، جايز مالناش فيها قيراط واحد، لكنها بتاعتنا لأن ناسنا عايشين فيها . فهمت ؟

طبعًا ، جمع الرجل الصحفى رزمة الورق .. وقال لى: ضيعت وقتى .

سألت نفسى : لكن أنا ضيعت عمرى ؟

وشـــرد بـــى الخـــيال لبعـــيد، لأيام الكتيبة العصيبة : طوابير الاصـــطفاف، فـــرق القناصـــة، الزحف بالسلاح، تطهير الحفرة، الضرب بالذخيرة الحية .

وجدت وجوه أصحابى اللى وقعوا فى الحرب تبص لى وتسألنى بنفس النبرات : ازيك يا نصحى ..

أنـــا جوايـــا ارتعش . وبصراحة دمعت . وداريت وجهى من الكسوف !

(٥)

لا يظن أحد أننى مكسور الخاطر، أو حزين . هل هناك ما هو أصعب من الموت ؟ أظن أن الموت نفسه اقترب منى جدًا، وعندما

أدرك أننى لا أهابه مضى بعيدًا .

أنـــا وحـــيد فعلاً. أحيانا أزور أولاد أختى عايدة. وبنات أخى فريد، أمسك كتب المطالعة، وأقرأ النصوص. خاصة عندما يكون فيه شعر عن الحرب .

أشـــعر أن هـــناك حاجزًا لا أستطيع كسره بينى وبين العبارات الفخمة .

أريـــد أن أقـــف فـــى ميدان عام، ميدان كبير واسع وأصرخ : الحرب ليست هكذا .. إنها شيْء صعب . سهولتها لا تتأتى إلا لمن أمسك بالبندقية، حارب، وقابل الموت وجها لوجه .

هـــذا والله لـــيس تعالياً على أحد . قلبى ينخلع فى اللحظة التى يقابلنى فيها وجه شهيد مثل الرفاعى أو رياض أو بدوى .

قلـــبى لا يطاوعـــنى أن أســـرب ســـر الحرب . شيْء داخلى يعصينى، يصرخ فى وجهى كلما أوشكت على البوح : اقبض على سرك، ولا تتبس .

وقـــتها، أضـــع العكـــاز تحـــت إبطى، وأمضى. أضرب فى الطـــرقات. فأنـــا أحـــتفظ بداخلـــى فى طيات روحى بعذوبة تلك اللحظـــات. أمضـــى، وصـــوت الدقات يعيد ترتيب ذرات روحى المجهدة .

أهمـــس لنفسى : لا بطولة فى الأمر يا ولد يا نصحى. أنت لم تفعل غير الواجب وأنت دفعت ثمناً بسيطاً جدًا : مجرد ساق .

أبتســـم للحياة العكروتة . أمد يدى أتسلى برؤية أسماك البلطى فـــى مجـــرى النيل، تهرب منى، وأنا الذى حفظت لنسل جدودها دفـء وطهر هذا الماء !

المركز الثانى :

خطوطك لا يقرؤها أحد سواك

محمد عبد الحكم حسن
قرية مهدية ـ المنيا

يو و و و و و و ه ....

***

يدشدش صوتى صمت المدى، يخترق حدود الكون .. ..
ولا تسمع !

خطوطــك ما عدت أفهمها، تلك التى تخطها بعصاك الخيزران على التراب الرطب أسفل شجرة السنط العتيقة .

كم كنت أقرؤها .. تلك الخطوط المتشابكة المبهمة . أنا التى لا أفــك خطــاً أو أقرأ طالعاً. طلاسم لا يفهمها أحد غيرنا، أنا .... وأنت ...

وأنبش فى التراب حيث دسست صورتك، تلك التى تبقت معك مــن جــواز ســفرك، أتأملهــا، أتحسس شاربك الكثيف وعينيك الواسعتين ووجهك الممتلئ .

أفهمتنى حين سربلنا الظلام بعباءته أن المهرَ بات قريبًا .. قريبًا جدًا ..

ورحت تمضى فى تلافيف الظلام ورقة المواويل وهديل الحمائم فــى بنانــيها. كــم كنت أرقبك فى النهارات وأنت تمضى بعيدًا، تهفهف كالإوَزّ العراقى، تضرب بعصاك الهواء وجسدك العريض يشرخ الفضاء الوسيع .

وتحت السنطة، وفى الخطوط أحملق ، لا أفك الطلاسم فأعرف الدكــة الــتى سوف تجلس عليها ولون الجلباب الذى ترتديه ونوع الرقصـــة التى سوف ترقصها والموال الذى تطلب من المغنى أن يــردده، وأنــت تتمايل، وأندس هناك بين البنات، تلمحنى عيناك الواســعتان ، فترقص بالشال الأبيض، ترقص فوق نواصى القلب وشواشـــى النخيل ، فتحتوينى ــ أنا المندسة بين الأجساد ورائحة زيوت الشعر الرخيصة والحناء وبقايا روث البهائم ودقات الطبول وأنيــن الــرباب، فأرانى أنا الغارقة فى صمتى وشرودى، أرقص معــك فوق الدكك والرءوس وفروع الأشجار، نتأرجح ذهاباً وإياباً فــى الشوارع الضيقة ، نعلو هناك فوق النجوم، نستحيل إوزتين، والبنات هناك تحت سقف البوص وتعريشات العنب يغزلن لنا من بقايــا أثوابهــن وطرحهن ملابس، فنرقص نرقص .. ولا نتعب، نرقص .. نرقص .. نر .. ..

تعلو النداءات لك :

ــ كفى اجلس .. أترقص من غير موسيقى؟

وجســدك المعــبّأ بالألحـــان ودقات الدفوف وإيقاعات الأكف الخشـــنة، يــروح ويجـــىء وسط الساحة كعود كافور لين فتموج الأجســـاد فـــى فـــرح وتصفيق منتظم، تلك الأجساد التى أدهشها رقصك فأمرت الموسيقى أن تستمر ولا تتوقف، ومن وجه ينضح عــرقاً وشباباً ترسل لى نظرة، تخترق الرءوس والطرح وأجساد البنات وتحتوينى، فأعود أمتطى الحلم وأرقص معك فوق شواشى النخيل .

وحــدى الآن، والبــنات اللاتـــى لمحن شرودى انفضضن من حولـــى، هائمة يحتوينى الفضاء والصقيع، وأحتوى بين ضلوعى المرتجفة قلبًا فى حجم العصفور، والعيون المتبقية من حولى تتأمل جسدى الذى يهتز، جالسة لا همَّ لـــى ســـوى أن أغمـــض عينـــى

وأتخيلنى معك فى هذا الزحام المندهش لرقصنا الجنونى .

والمطـــرب النحـــيل يـــنهل من بحر المواويل ويصب بصوت حـــنون، فـــيرتعد العصفور الساكن بين ضلوعى ويغبُ ويشرب، يـــرقص، يخفـــق ويحلـــق بين الضلوع، ضلوعى التى تدغدغها أصابعك المرحة فتعلو ضحكاتى .

أنـــا .. وأنـــت .. هكذا أوهمنى خيالى الشقى أننا نرقص على صـــوت الدفوف وإيقاعات الأكف وضحكات الأهل المرحة، نتربع على شال أبى الكبير، نتأمل بعضنا فى دهشة وفرد، تدعك النسوة أيدينا وأرجلنا بالحناء، يصففون على صدرينا عناقيد الذرة الحمراء وأوراق النبق، يجملون رأسينا بقبعات من سعف النخيل .

ويقســـم أبـــى ليذبحن عجلا آخر، فتعلو الزغاريد وتهوى من حولنا الطلقات الحمراء المجنونة، تزغرد فى صمت الليل، فتجلجل ضحكاتنا المرحة .

ــ يا ر جا ا ا ا ا ا ل

والكل ينصت لنداء أبى ، فيبرك على ركبتيه كجمل ويشرح لهم فى زهو كيف أنه اختارك أنت، أنت الذى لم تكمل مهرك أو تترك فأسك .

ويـــبص صوبنا بعينين طيبتين راضيتين، ونحن ــ أنا وأنت ــ نتربع على شاله المفرود كيمامتين وديعتين . ويكمل وسط عبارات الاستحســـان وإيماءات العمائم : كيف أنه أحبك منذ أن رآك ورأى رجولتك ومواقفك .

ــ يا رجا ا ا ا ا ا ل

لا يهمنى مهر أو .. ..

فتتبدر الطلقات مرة أخرى، طلقات حمراء مرحة .

ــ اجلسى كى نرى .

صوت البنات الجالسات من حولى يوقظنـــى مـــن شـــرودى ،

أحملـــق فيهن بغيظ وأعدل من غطاء رأسى الذى مال على كتفى قليلاً .

ذلـــك إذن هـــو موالك وتلك رقصتك، وأنا ... بنت البلد البعيد أتيت من أجلك، وعلى هَذِى خطوط رسمتـــها بعصاك على التراب الرطـــب أسفل شجرة السنط العتيقة، قرأت نداءك لى آتيًا من عبق الحواديـــت والمواويـــل ونقوشات " الترتر " على فساتين الزفاف وغمزات النسوة اللاتى يجملن العرائس، وهزهزات أبواب المقاعد وهوائها البحرى والفانلات القطن الرجالى حين تنضح عرقاً .

يخـــترق نـــداؤك سقف البيوت الواطئة هناك فى قريتنا البعيدة ويأتينى يهدهد أوصالى، أنا التى أتحين اللحظة الآن لأنطلق إليك.

وهـــأ نـــذا قادمة، أقتلع قدمىّ عنوة من الطين والبلل والزروع المتشابهة، معنى الموال الذى أعرف أنك طلبته من أجلى يفرش لى الأرض بالحناء وزهور السيسبان .

وأقـــترب، يدفعـــنى الحنين ويشجعنى الهواء الذى يلسع خدى، أنطلق كالفرس الشارد بين القنوات والجسور، أنا القادمة ولا فزع، العاشقة ولا خوف .

أشـــق بطـــن الليل ونقيق الضفادع وهسيس الأشجار وآتيك من هناالك، من تلك القرية التى خلفتها ورائى بين النخيل حيث البيوت الواطـــئة وشجرة السنط العتيقة وأبى بجرأته وقسوته وكراهيته لك .. لـــك أنت بالذات .. وكبنت الجان القابعة بين البرك والمصـــارف والهـــيش والبـــيوت القديمـــة وفتحات الأسطح وعتمات الأحواش والأحـــراش وبـــيوت الأفران وشقوق الأرض والمقابر القديمة .. أهوى فى عتمة الليل .. الليل الذى ردد صدى ضربات عصا أبى وهى تصنع أخاديد غائرة فى جسدى الطرى الأبيض، سرعان ما تســتحيل خيوطاً زرقاء متشابكة، تلك التىكنت تقرؤها وتبكى ــ أنـــت الخشن ــ وتقسم أنها تلتف حول رقبتك، وكنت الوحيد الذى

يقــرؤها حين يأتى المساء متسللاً بين الأشجار المتشابكة، فيعمى الظلام كل شيء حولنا .

وكانـــت آخر قراءة لك وعدًا بأنك ستعود لتطهر الجسد وتمسح بـــدفء يديـــك هـــذى الخيوط الزرقاء الغليظة، والتى باتت تعلن صـــراحة أن هـــذا الجسد ـ جسدى ـ سيتمزق تحت عصا الأب الغليظة هذا المساء .

هـــذا المســـاء الـــذى اتجهـــت فيه عينا أبى صوبى محملقتين، متفحصـــتين، ملتاعتين، دامعتين، وخلال الليل امتدت يده الخشنة تتحسس بطنى المنتفخ، فارتعد جسده القوى وتخبط فى جنبات الدار ولطـــم علـــى وجهـــه ودس فى كهوف الذل رأسه، وهبت رياح الخماسين فحصدت بقايا الطيبة من وجهه فبات كصخرة منحوتة لا يـــتحرك فيها سوى عينين عميقتى الحزن والتساؤل والقسوة ، ويد تنقـــبض وتنفرج على أشياء وهمية. تلك التى تتحين الفرصة الآن لـــتمزق جسدى، جسدى الذى بات يحتوى روحا متهالكة وأعضاء مرتعدة .

لا شـــيء ســـواى وخطوطـــك وشجرة السنط، وحدى أشكو لله حالى، وأتأمل الخطوط المتشابكة المبهمة، وذلك المدى البعيد، ربما تهل بجسدك العريض وعصاك الخيزران، تحمل بين يديك مهرى، وتفـــرش لى فى ساحة الدار حصيرًا من هيش المصارف الملون، نـــرقص علـــيه وحدنا، وتحكى لى عنك هناك فى البلد البعيد الذى غبت فيه عنى وعنك وعن ...... كل شيء .

أود لـــو أصـــرخ الآن ملء المدى، يخوننى صوتى المبحوح . أحدثـــك عـــن تأشيرة إقامتك هنا، الذى بات يتحرك فى أحشائى، أحس به لعوباً شقيًا يدغدغ برفساته جنبى .

كلمـــا تحـــرك مادت بى الأرض وهوت وخاصمتنى الأشياء ، فوجدتنى عارية وسهام العيون الشامتة تخترقنى، والأقدام المتسخة

تدك وتدوس على شال أبى الأبيض فيتهلهل تحت إيقاعات أقدامهم الجنائزية، وبيدين عريضتين يهيل أبى التراب على رأسه بغزارة، نهـنهاته الحزينة ترتفع، الوجوه التى أمامه تستحيل ظهورا تبتعد شـامتة ولاعـنة، وحيدٌ أبى حيث الخلاء والتراب الذى أوشك أن يغطى رأسه .

***

آاااه ... لو أننى نملة فأختبئ تحت حجر أو أصعد فوق شجرة السنط ألتصق بصمغها وورقها وديدانها الطويلة .

***

وحـدى الآن أتأمل الخطوط تكبر وتتشابك وتلتف حول رقبتى، ويدى ـ تلك التى ترتعد ـ تتحسس تنقلاته وضرباته .

أفـك بحـذر هذا الحزام الذى يربط على بطنى، يكاد يخنقنى ويخنقه .

كـل الأشـياء باتت تسحقنى، حتى الكلب الأجرب الراقد هناك على حافة المصرف لم يعد يبتعد عن طريقى، بل حملق فىّ اليوم بعينين ماكرتين . بت مثلك هنا بلا إقامة، العيون من حولى خطوط تلـتف حول رقبتى، أتكور على نفسى، أنكفئ على حزنى، وطفل فـى أحشـائى يبصّ عَبْر غلالة شفافة إلى الأشياء، يتقرفص الآن ويسـتجمع قواه، يريد أن يقفز فجأة فيملأ المدى صراخاً، يسألنى عـن وعن وعن، يشرب ما تبقى فى مياه الترع وضروع البهائم الضـامرة، يلـتهم الأجسـاد والأشـجار والمواويل، يوقع ببكائه وصـراخه تأشـيرة المغادرة ـ مغادرتى ـ إلى المدى السرمدى حيث اخضرار الأشياء والألوان وستائر ترفع وموسيقى تنطلق فى عمـق الروح، يحملنى طفلى وأحمله، نسرح فى جنبات الكون بلا تأشـيرة أو حـدود، ومن بحار الزنجبيل أعبئ، أدلق فى الحناجر وأغسلها من بقايا الصراخ، ترنيمات تتهادى وجسدى يهتز بلا ريح

فأفـــيق، أتحســـس مـــنٍ تحتى تلك الخطوط المبهمة، تاهت تحت خربشات العصافير وقش الأرض ورياح الخماسين، وأبص بعينين خائفتيـــن مترقبتين، حيث ــ من هناك ــ يأتى أبى بجسده الكبير، يســـد المدى بكتفيه العريضتين، وبعينين ناريتين يتفحص جسدى، تلكما العينان اللتان تعلنان بأنه مقبل غير مدبر، يحمل النار والعار والســـكين الحامى، ذلك السكين الذى تركت عيناى كل الملامح / الوجوه / الخطوط / الأشجار ... وتمسمرت عليه .

ذلـــك الســـكين الذى يطعن الآن فى خدر لذيذ جسدى الطرى، فأهوى وأتلوى على الخطوط أتحسسها، أخاديد متشابكة يتدفق فيها دمى الساخن .. يملؤها .. تلك الخطوط السميكة المتشابكة والتى لا يقرؤها أحد سواك .

***

المركز الثالث (مناصفة) :

رنين الحنين

عبير أحمد محمد عبد الهادى

نجع حمادى ـ قنا

عـــندما لمست أصابعى جرس الباب، سرت فى عروقى شحنة نـــزوع إضـــافية، اختلســـت ســـيطرتى على مشاعرى المختلطة المتضادة، سحبت منى زمن اللحظة وكل اللحظات الماضية الآتية إلا زمن ذلك البيت الحزين .

أقف علىعتبته وقفة مشبعة بوقود الغرباء، ونظراتى معلقة على أوراق الدالية الممتدة بشموخ لا يضاهيه إلا شموخ حجارة الجرمق التى بنى بها ذلك البيت، والتى حال شموخها دون فقدان هويتّها .

***

عـــندما فتحـــت السيدة الباب إثر رنين الحنين، لم تكن عيناى بكفاءتهما العادية، ولا يمكننى أن أصف الآن كيف جالت كل عين على حدة فى ممرات الذاكرة والحاضر فى آن، ولا أدرى كم مرة ردَّدت السيدة سؤالها حتى أغلقت الباب فى وجهى دون أن تمسنى صـــعقة الانغلاق. لتوّى أحسست هذه الصعقة كمس كهربى يتسلل إلى هذا القلب الذى يُشَرَّحُ بقسوة الأعضاء، ثم يعود إلى فراشه فى نهاية اليوم بفؤاد عصفور ليهجع .

***

وكأن السيدة سألتني من أكون ؟ فمن تكونين أنتِ ؟ فهل أجبتها بســـؤالى هذا، أم كنتُ مشغولاً بدغدغة اللحظة التى عانقت الشوق بشوكها المدرب على الوخز ؟

وكـــأن زحـــف السنوات الثقيل السريع لم يكن بالمهارة الكافية، لـــتى يمكنها أن تنسينى زحفى الأول إلى المجهول، وكيف تركت "حـــنوناتى" [1] فى حاكورة البيت، أول حنونة كنت قد وعدت بها جدى، أليس هو معلمى الأول الذى علمنى كيف أغرس وأجنى وأنا ما زلت فى حضن البراءة والحليب ؟

تركـــت الحنون حينما سمعت جدى يتفوه بكلمات لم أدرك منها وقتئذٍ سوى كلمة واحدة تعيينى حتى الآن :

" إنّا لهذه الأرض، وإنا لدارنا راجعون "

راجعون ياجدى ؟!

***

هـــاهى عودتـــى الأولى بعد الشتات الطويل، والحزن والفرح، والنجاح والفشل، وتخبطاتى فى العواصم وروعة النزق النزوعى الـــذى يطاول فورانه كل القضبان التى تقمع مروقى، لكنها عودة الزائر السائح، العائد إلى نزوحه الجديد حتمًا .

بـــتلك اللمحـــة الخاطفـــة، الـــتى جولت فيها بين أروقة الدار، و"مضافتها "، داهمتنى صحوتى الكبرى ودهشتى من طبيب قضى مـــا قضـــى فى لندن، ووصل إلى ما وصل من عالمية، ولم يزل يتوهم أن ذلك الباب سيفتح، وسيرى من فرجته الكرسى الذى كان جده يتصدر به الدار، وسيشبع هاتين العينين طيف الجد وهو جالس إلـــى نارجيلـــته بطربوشه الأحمر، وحطته وقمبازه المميزين، فى وضع سلطانى مهيب .

كرسى هزاز يجلس عليه الآن رجل أنفه معقوف، أشيب، طويل السوالف واللحية، ذو قبعة سوداء، أيضًا يجلس فى وضع سلطانى مهيب .

***

(١) الحنون : شقائق النعمان الحمراء

وكـــأن السيدة سألتنى : من تريد ؟ ووددتُ لو أسألها : بيت من هذا؟ لكننى قُتِلْتُ على عتبة البيت قتلاً لا نهائيا ألقى بى فى دهاليز العاصـــفة التى بعثرتنا وأضاعت منا الجـــدَّ . ظللنا نفتش عنك يا جـــدى بين الزاحفين عن دار الحنين المعلق على جدران ترحالنا، لكـــنه القدر ياجدى الذى يحب النهايات المفتوحة ويهوى تقلبى بين جمرات شقاء البحث عن كل ما أريد وكل من أحب .

تطـــل من شرفة "عليتى" [٢] ذات الأقواس الأثرية فتاة صغيرة يـــبدو أنهـــا حفـــيدة السيدة، هاهى ذى العلية التى تجاورها، كانت تجـــاورنى فـــيها حبيبتى التى اختار لها القدر نهاية مغلقة، عندما اخترقت الليل، لتقطف لى من الدالية الوحيدة التى تظلل باب الدار بشكل نصف بيضاوى ، عنقود عنب، خيل إلى عندما دخلت علىّ عليتى أنها تحمل فانوسًا فاطميًا بزهو .

فرطـــت عقـــد الياقوت الأصفر فى صحن ملىء بالماء، وبدأت تغذى ابن عمها المحموم المعرض عن الطعام، بغذاء الروح، حبة .. حـــبة، لكـــن ابن عمها طمع فى قطفة أخرى لعنقود عاق تعلق بعـــيدًا كـــى يضـــىء فى الليل، لا يود الانفراط .. سحبت السلم الخشـــبى وصـــعدت لتلتقط العنقود، حطت بجناحى فراشة، كنت أرقـــبها مـــن شرفتى لأحقنها بجرعات منبهة خشية السقوط. فهل تبخرت الجرعات وسقطت الحبيبة ؟

***

- آه .. أرجـــوكِ يـــا سيدتى اسمحى لى فقط بالجلوس على عتبة الـــباب تحت أوراق الدالية الوهمية الممتدة بشموخ حقيقى فى شكل نصـــف بيضـــاوى، توهمـــتُ بـــثقة طاووسية أن هيئتى السائحية ومعطفى وقبعتى التى فرضتهم علىّ الحياة اللندنية، والقمة العاليـــة

---

(٢) العلية : غرفة من غرف القصر المرتفعة

التى اعتليتها ستخدعك سيدتى، لكن ماذا أفعل سوى أن أعض على أصابع الحنين التى أنستنى أبجديات اللغات المكتسبة جميعها ؟

هل صُفِقَ الباب ؟ هل صفق ؟!

***

عندما لامست عجلات الطائرة أرضى، فجَّرت احتكاكاتها نشوة اللاوعـــى، أنستنى كل المتغيرات التى أحفظها عن غيب، ولم يبق فى وعيى سوى تهنئة المضيفة بسلامة وصولى، وسيل المتعة التى ســتقتلنى لذة عندما أطرق باب البيت، وربما سيكون الباب مفتوحا لأمرق وأجلس أمام المدفأة فى الطابق السفلى الذى كنا نقضى فيه شتاءاتنا بين خراريف الجدة، وحكايا أمى وزوجات أعمامى، وربما سيكون هناك الشاعر ينشد على ربابته حكاية الأميرة ذات الهمة . لـــو جـــاءت معى الحبيبة من لندن لأتاح٣ت لى ازدواجية المتعة، وروعـــة النشوة عند صعودنا الدرج نفسه إلى نافذة عليتها لننظر إلى " المسطاح " [٣] أسفل النافذة .

كم كنا نتسلل فى غفوة الجدة لنسرق حبات " القطين " [٤]، وكم ضبطتنا " اللقّاطة " [٥] صائحة :

ــ ها دول حرامية القطين يا حاجة

لا .. لـــو جـــاءت الحبيبة لقطعت قدماها من جديد بعد خمسين عامـــا أو يـــزيد . لم تتذكر معى المسطاح والقطين واللقاطة، فقط ستذكر ليلتنا المحمومة .

***

حينما سمحت لى السيدة بالمروق، وجدت " ريسيفر دِش " يحتل المكان الذى كان يجلس فيه عم " مطر " ، كلما جاء إلينا كى ننظر

---

(٣) المسطاح : ما ينشر عليه التين لتجفيفه
(٤) القـــطين : التين المجفف
(٥) اللقاطة : المرأة التى تلتقط التين من الشجر

مــن فتحاته السحرية، المكتنزة بسحر مختزل فى صندوق العجب، ولتــتعملق فـــى دواخلنا الصغيرة بل ودواخل الكبار أيضًا، مشاهد عنترة وخصومه وعبلته، وليسرق أسماعنا صليل سيوفه .

مــا أبرعك يا عم " حميد " فى قدرتك على الأخذ بالألباب حتى عودتك بغتة بعد تجوالك اللامحدود فى بلاد الناطقين بالضاد .

وكمـــا تضـــاربت العمارة التقليدية الشرقية بأقواسها الفلسطينية المتعددة داخل البيت، مع الأثاث الغربى، وصور الحاخامات التى حلــت محل (يا داخل هذه الدار صل على النبى المختار) أو مكان مشاجب الحطات، والعقالات، ومثلما تضاربت مشاعرى وجَثــت على ركبتيها على عتبة ذلك الباب تضارب موعدك ياعم " مطر " مـــع موعـــد عم " حميد " شاعر الربابة الذى جاء لينشد لنا ولأول مـــرة تغريبة الهلالية . تنازع كل منهما على البقاء والقيام بدوره، ومـــا كـــان من جدى إلا أن طردهما رغم أنه كان طائيًا، وما أن ابـــتعدا عـــن عتبة الدار ــ هذه ــ عشرة أمتار إلا وكان عسكرى إنجليزى قد قبض عليهما بحجة الشغب . ولا أدرى كيف اتفقا معًا وهربا من السجن، وكان ذلك البيت هو ملجأهما .

***

هـــل ســـمحت لى السيدة إياها بالمروق حقيقة، وتَفَحُّص أريج الماضى بعبقه المختلط، وديكتاتورية جاذبيته، أم تركتنى أعانى بين نـــابَىْ اللحظتيـــن ألمًـــا ساديًا لم أستطع كبح جماحه فاستسلمت له قسرًا؟

تـــرى مـــن أشـــد قسوة، ذلك الألم السادى الذى ما يزال ينبش ويدغـــدغ أشـــلاء قلبى، أم اختلاجات الذاكرة المدربة على إيلامى كلما تمخضت عن مشهد قدمىْ الحبيبة اللتين عانقهما اللغم بحميمية شـــديدة، لأرى تطايراتهما بعينىّ، وأتابع مصيرهما إلى أن أدمتنى تلك القطعة التى اختارت فى لحظتها فراشى مرســـى لهـــا لتعبث

بهدأة غفواتى .

لم أكف عن التنبيه .. كيف سقطت ؟ لا لم تسقط من فوق السلم الخشبى، السلم هو الذى تمرد ودهس اللغم المزروع تحت الدالية.

مـــا اقتلعتـــنى مـــن مكان دفن القدم إلا جدتى التى جاءت إلى "البرية" حاملة الحبيبة التى قبلتنى لأول مرة بابتسامتها الملائكية، لم تكـــن قد أفيقت بعد على مأساتها، لكن توابع فاجعتها كانت تنتشل كـــل خـــدر وهمـــى يعين على النسيان على مدى العمر الطويل، ولطالما رددت بعد كل تابع أنها :

أرض غير صالحة للأمومة والزوجية

وراودت مقولـــتها شيطانى مرة وحيدة حينما سقطت طفلتنا من الـــدور العاشر فى لندن والحبيبة تهرول بكرسيها المتحرك لتحول دون ذلك فعصرها الفشل .

***

وفى وسط النشوة اللاواعية المهيمنة علىّ، تنبعث رائحة القهوة وقـــرقعات الجوز والكستناء من داخل الدار التى لم تسمح سيدتها بالـــتفاهم معها، وإقناع زوجها ذى الأنف المعقوف، بأن تلك الدار تركـــناها قسرا، ولا أبتغى سوى طلة، لعل جرسى يكف قليلا عن الرنين .

صـــفقت الســـيدة وزوجها الباب فى وجهى فأطار أنفى بعد أن صرخا :

ــ عرفى ملوخلاخ [٦].

أفاقتـــنى الصفقة كمس كهربى لأعىَ أن رائحة القهوة وقرقعات الجـــوز والكســـتناء منبعثة من هوية الزمن الجميل ، ومن ذاكرة القلـــب القاسى الذى يُشَرّح الأعضاء أمام طلبة " أكسفورد " ، لكنه لم يستطع قط تشريح ذاكرته بنفس القسوة الجليدية .

---

(٦) " عرفى ملوخلاخ " : عبارة عبرية بمعنى " عربى قذر "

المركز الثالث (مناصفة) :

3 S

محمد محمد حافظ

دمنهور ـ البحيرة

مضيفتى التى تزينت وارتدت ملابسها الأنيقة، لم تستطع إخفاء حـــزنها الشـــفيف . كانت واقفة تتصفح وجوه القادمين فى صالة وصـــول مطـــار " ناريتا " الدولى، وعندما تعرفت على .. تهلل وجههـــا بابتسامة رقيقة، صافحتنى بحرارة، ونزلنا السلالم لأسفل حيث محطة قطار الإكسبريس .

قالت إن المسافة من هنا إلى " طوكيو " تقترب من الثمانين كيلو مترًا .

بالقطار تلفزيون يذيع نشرة الأرصاد الجوية، أخبار البورصة، أهم المعالم والميادين الرئيسية، وعناوين الشركات الكبرى .

مضـــى الوقت سريعًا فى حوار ودى . توقف القطار، هبطنا، ارتقيـــنا السلالم الكهربية، ثم انتقلنا بالتاكسى إلى فندق فاخر بحى "جينزا" الراقى .

كوب الشاى مع سيجارة بعد إفطار رمضان متعة، أجلس وحيدًا أمـــام التلفزيون، زوجتى المتخمة تغط فى نوم عميق على السرير المجاور، ابنى طالب الابتدائية بالغرفة المجاورة يستذكر دروسه، ابنتى طالبة الثانوية العامة خرجت للدرس الخصوصى.

تتواتر الأنباء عن غارة أمريكية جديدة اليوم على العراق، من مـــنطق الدفـــاع عن النفس ضد الرادارات الأرضية العراقية، بعد

طرد بعثة التفتيش الدولى برئاسة " باتلر " وفضيحة تجسس البعثة لصالح أمريكا وإسرائيل .

للمسلسـلات والـبرامج الرمضانية سطوة، لا تغلبها إلا سطوة أخـبار الحـروب والفضائح . أما زميلتى فى العمل فهى ساخطة علـى الدنيا وما فيها، لأن زوجها مات بعد ستة شهور من الدخلة، تقـول إنـه أيقظ وحشاً كان كامناً ، ثم تركها تواجهه بمفردها فى معركة غير متكافئة .

مضيفتى اليابانية أوصلتنى إلى غرفتى بالفندق وقالت إنها ستمر علىّ فى المساء، أكون قد أخذت دشاً واسترحت من عناء السفر ؛ كى أرى " طوكيو " المتلألئة فى الليل .

زوجـتى تتقلـب، وهى مغمضة العينين تمسك بزجاجة مياه، تفـرغها فـى جوفها لتطفئ نار " جوزة الطيب " والبهارات التى أشعلت ورقة اللحم البتلو .

الفقـرة الإعلانـية طويلة ومملة . تتداح الذكريات وتطفو على سـطح الذاكرة صور شتى، تتابع، وتتداخل فى منظومة غريبة لها قانونها الخاص .

فـى المسـاء حضـرت مضـيفتى وانتظرتـنى حتى ارتديت ملابسـى، جلسنا فى صالة الفندق نحتسى الشاى، قالت إنها تعمل فـى قسم العلاقات العامة بالشركة منذ ثلاث سنوات، وإنها تعشق الشـعر وتقرضـه باليابانـية، رجوتهـا، فقـرأت بعض الأبيات بالإنجليزية :

" فى عتمة أحلام اليقظة
يتعملق كابوس مرعب
تتغلغل فى الأوصال المرتجفة ..
أسراب ذباب وقنابل وصواريخ
تمطر وجدانى المرهق

حتى تنفجر النفس شظايا مشتعلة
وتهل خفافيش عملاقة
تمتص بقايا الدم المتسرطن
أهرب منها .. فتطاردني حتى الموت "
أدقق النظر في ملامحها، الشفتان ترتعشان والأهداب تختلج، تتقبض عضلات الوجه الطفلي، ما سر هذا الحزن الجارف .. ؟!
ظللت صامتًا أتأمل معاني الأبيات، لاحظت تأثري بقصيدتها فاعتذرت، هوَّنتُ عليها، نهضنا، وببطء تحركنا صوب الباب .
نقرت ابنتي الباب، دخلت، بصوت خفيض طلبت القسط الثاني للدروس الخصوصية، لم أرد عليها، خافت أن تكرر المحاولة، ظلت واقفة صامتة؛ فطلبت منها كوباً آخر من الشاي، دخل ابني وسألني: مش حضرتك مهندس، لو سمحت اشرح لي الرياضة الحديثة، مش فاهم فيها ولا كلمة .. ! تصفحت الكتاب، طالعتني رموز جديدة ملغزة، اعتذرت بأننا لم ندرسها، ونصحته باستشارة أخته الكبرى؛ لوى شفتيه باستغراب واستدار يهز كتفيه .
سألت مضيفتي عن رنة الحزن الدفين في شعرها، قالت إن الحزن إحساس طبيعي فطري في النفس البشرية . اعترضت وتعللت بأنها ما تزال شابة وجميلة وأمامها الدنيا والحياة لتعيشها وتستمتع بها .
وقفنا على الرصيف، أشارت لسيارة تاكسي، ركبنا، تنهدت وقالت : لو كنت ابنا لوالدين عاصرًا الحرب العالمية، وحفيدًا لجدين ماتا مشوهين بنار القنبلة الذرية، لأدركت أبعاد المأساة .
مدت زوجتي يدها وهي نصف نائمة، التقطت القطائف، التهمتها، تجرعت نصف زجاجة ماء، تجشأت، ثم دخلت سرداب النوم من جديد .
تقول زميلتي الأرملة إنها ما تزال شابة وثرية، ولأنها مطمع

للجميع فهى تخشى على نفسها من الفتنة، لكن الفراغ قاتل، والليل طويل، والكلاب جائعة لا تكف عن النباح .

يقطـــع التلفزيون إرساله لينقل على الهواء مباشرة وقائع جلسة تصـــويت مجلس النواب الأمريكى على إجراءات محاكمة الرئيس كلينتون فى فضيحة " مونيكا جيت " . يتباهى النواب بالديمقراطية التى تتمتع بها بلادهم، وفى النهاية يوافقون على إحالة الرئيس إلى مجلس الشيوخ لمحاكمته عن تهمتين من التهم الأربع .

تقـــول مضـــيفتى إن الإمبراطور كان مضطرًا لإنهاء الحرب، بعدما رأى ما فعلته قنبلتا هيروشيما ونجازاكى بشعبه .

تلـــتقط أنفاســـها وتضـــيف : هل تعرف أن للأمريكيين قاعدة عســـكرية هـــنا فى أوكيناوا ..! وعندما لاحظت جمود ملامحى، ابتسمت وقالت : دعنا نغير الموضوع، سنتناول العشاء فى مطعم رائع لا يخطر لك على بال .

اصـــطحبتنى من يدى ودخلنا مطعم " الهرم الزجاجى " . كان المنظر ساحرًا، وتحيط بالهرم الزجاجى الكبير نافورة أضفت عليه جمالاً أسطوريًا .

وضـــع الـــنادل أمامـــنا أطـــباق المشهيات، سألتنى عن طبقى المفضل، أجبتها، انصرف النادل وعاد حاملاً شرائح البتلو مغطاة بطبقة من الصوص اللذيذ .

يقـــول زميلى فى العمل بنبرة ما بين الحسد والمزاح : يا بختك يا عم، سفرية لليابان، يعنى شغل وفسحة وpocket money .

جتنا نيلة فى حظنا ...

دخـــل ابنى ممسكًا بكتاب الرياضة الحديثة، وقال فى غيظ إن أخته لم تفهمها أيضًا، ولا مفر من درس خصوصى فيها . وعندما رددت علـــيه بـــأن الصـــباح رباح، زمجر قائلاً : دى " كاماننا " واضحة ومفهومة عن الرياضة الحديثة بتاعتكم دى ..!

يقطـــع التلفزيون إرساله، ويعلن متحدث عسكرى بأن الضربة الجويـــة الأمريكـــية علـــى العـــراق انتهت الليلة، وأنهم يدرسون الإسراع للانتهاء من الضربات حفاظًا على شعور المسلمين بشهر رمضان المبارك .

حاولت أن أرفع معنويات مضيفتى : بلدكم يشهد ثورة صناعية وتكنولوجـــية هائلـــة أرعبـــت أمريكا، حتى أنها وقّعت معكم عدة اتفاقيات للتعاون المشترك . ابتسمت بمرارة : لا تنخدع، ليس حبًّا فـــى عـــيون بلادنا، تلك مسألة اقتصادية بحتة، " بزنس "، تخضع لحساب المكسب قبل الخسارة . تنهدت وأردفت : هل تعرف كيف تـــتغلغل أمريكا فى شئون البلاد الناهضة، إنها تحاول تخريبها من الداخل عن طريق ثلاثة محاور، نطلق عليها Three S، الأول عن طـــريق الرياضـــة Sports، والثانى الأغانى Songs، والثالث عن طريق الجنس Sex، بعدها تصبح السيطرة ممكنة بل وسهلة .

قلت لها : إن الرياضة شيء هام وضرورى . قاطعتنى بضحكة ساخرة وقالت : أقصد الاهتمام الإعلامى والدعائى وبث العصبية والتناحر لتفريغ الطاقة الفاعلة ؛ لشد انتباه الناس عن أهم وأخطر القضايا المصيرية التى يتوجب عليهم مواجهتها .

تســـتيقظ زوجـــتى فجـــأة، تفتح عينيها باندهاش، تحملق فىّ : عزومة بابا وماما وأختى وزوجها غدًا على الإفطار، سنحتاج ذكر بـــط، زوجـــى فـــراخ، كـــيلو بستلو، كيلو مفروم لزوم المكرونة بالبشـــاميل. ترشف كوب قمر الدين القريب منها، وتسحبها دوامة النعاس من جديد .

تدنو زميلتى الأرملة وتهمس : أهل المرحوم عرضوا علىّ أكثر من عريس من أقاربهم، ولما رفضت .. هددونى بالطرد من الشقة إذا فكرت فى الزواج من شخص غريب . تسبل عينيها وتضيف : صديقة مخلصة نصحتنى بالزواج فى السر، عرفى لكنه حلال؛ كى

أضرب عصفورين بحجر، ما رأيك ؟!

تسـير مضـيفتي إلـى جوارى وتشير بإصبعها : هذه منطقة "روبـنجى" للـنوادى الليلية واللهو، لم تكن هذه التجارة مزدهرة ورائجـة مـن قـبل، أعتقد أنك تعرف السبب .. ! أدارت وجهها وأكملـت : إذا كنـت تفضل السهرة فى أحد الملاهى، يمكننى أن أتـركك الآن وأراك فـى الصـباح . أفهمـتها أننى متزوج ولا تستهوينى الملاهى الليلية ؛ فتحركنا فى الاتجاه المعاكس .

يعانقـنى زميلى مودعا ويوشوشنى : تذكر أن تشترى مجلتين مـن إياهم، ولا بأس بشريط فيديو فرفشة، كله بحسابه يا صاحبى والحساب يجمع .

تغمـز زميلـتى الأرملة بعينها وتقول : نفسى فى " كيمونو " حرير طبيعى، ألبسه " بدون كمبيلزون " !

فـى الصباح تصحبنى مضيفتى إلى مبنى الشركة، برج رهيب يناطح السحاب، على السطح .. يشب ونش عملاق معلناً عن إنتاج الشركة .

غـرفة المديـر أشـبه بغرفة عمليات حربية، شاشات ضخمة موزعـة فـى كل ركن، عليها بيانات ورسوم بيانية وإحصائيات تتغـير تلقائـيًا كل فترة، عنابر التصنيع ضخمة، وخطوط الإنتاج يقـوم بهـا الروبوت المبرمج، بضعة مهندسين يتحكمون فى كل شىء من غرفهم الزجاجية .

عندما قابلت مضيفتى فى المساء، طالبتها أن تفخر بهذا الإنجاز الرائع المشرف، سرحت قليلاً وردَّت على حماسى بقصيدة:

" الإشعاع .. شبح خفى جبان
لم يرحم الجنين المستكين فى بطن أمه
لم يرحم العواجيز الذين ينتظرون الموت فى كل لحظة
حتى الأحلام أصبحت مشعة

نطفة الإشعاع تكبر داخلنا يومًا بعد يوم
وعندما تنفجر .. تخرج منا عناكب متوحشة
تلتهم مشاعرنا وأحلامنا المحبطة "

ما زالت إعلانات المياه الغازية والشامبو والهامبورجر والبيتزا والشيبسي والجينز تنهمر بلا هوادة، يتخللها انقطاع الإرسال لإذاعة بيان أو تحليل سياسي حول نتائج محاكمة الرئيس الأمريكي المتوقعة في مجلس الشيوخ .

سحابة ضبابية تحملني بعيدًا، وأرى مضيفتي تبكي بحرقة، الدموع الداكنة تتحول إلى شلال هادر، تفتح حقيبتها؛ فيفر أقزام مشوهون، يكبرون تدريجيًا، يصطفون تدريجيًا في نصف دائرة على الشاطئ، تنطلق صرخاتهم عاليًا، وزميلتي الأرملة ترتدي المايوه البكيني وتسحبني من يدي للإبحار معًا، وزوجتي على الشط ترتدي الكيمونو وتلطم خديها وتولول، وأهلها يحملون السيوف ويطلقون صيحات الاستنكار، وزميلي يلوح لي بالمجلات الجنسية، وأشعر بالتواء في فمي ويلتصق لساني بسقف حلقي، وتتكسر صرخة مرعوبة داخلي، يتزاحمون على الشاطئ، ويرفعون أيديهم المتشابكة لأعلى؛ فيطفئون الشمس، مع إيقاع مخيف وزئير مدمدم، يتحركون ناحيتي، أرجع للوراء بخطوات مرتبكة، أغوص في الماء الموحل رويدًا رويدًا، لحظات .. وتتحول نوافير المياه المنطلقة من فمي وأنفي إلى فقاقيع، سرعان ما تتجاور وتتداخل في عنقود كبير على هيئة عش الغراب اللعين..!

المركز الرابع :

فم النهر

علاء أحمد أبو زيد
الجيزة

(١)

يمزق قبس الفجر عتمة القرية كل يوم .

قبل ذلك تستيقظ أمي تتحدى البرد ــ ضيف الشتاء الدائم في بيوت الريف المنصوبة في الخلاء ــ تثبت ذراع الطلمبة بين أصابع قدمها وتملأ الإناء النحاسي القديم وتتوضأ .. تلتقط جلبابًا نظيفًا لأبي تفرشه أمامها وتصلي، ثم تتسلق السلم الخشبي المسنود على الجدار الطيني وتصل إلى عشة طيورها .. تنثر حبات القمح وأعواد البرسيم لدجاجاتها .. تبتسم وهي تراقب الكتاكيت الصغيرة تنقر يدها .. مع فرحة طيورها تعيش إحساسًا جديدًا بصلاة الفجر .

(٢)

ألتف مع إخوتي حول الطبلية يتوسطنا أبي .. ننتظر جميعًا عودة أمي، لما تعود تضع أمامنا ما انتظرناه، ونبدأ في التهام الطعام .. بمواء ناعم تحيينا .. تختار أقدامي الصغيرة تحكها بفروتها الدافئة فأبدأ في إطعامها .

أبي الأسرع إحساسًا بالشبع . يتحسس بندقيته ذات الفتحتين .. يدقق في فتحتيها ويتأكد أنها معبأة بالبارود .. يعلقها على كتفه ويغادرنا إلى حراسته .

(٣)

أخـــوض مـــع إخوتى الطريق المرشوش بالندى إلى مدرستنا تلاحقنى قطتى حتى باب المدرسة .. أصوب عيونى إليها راجيًا أن تعود، ولكنها ترفض .. تظل أمام سور المدرسة تنتظر عودتى .

(٤)

الـــيوم حصة الرسم .. أكره هذه المادة التى فشلت فيها .. أردد مع نفسى .. كيف أكون الأمهر فى الحساب والعلوم واللغة العربية والدين ولا أجيد الرسم ؟!

مدرس الرسم، الذى لا أحبه، يقف فى منتصف الفصل يتحسس شـــعره المثبت على جانب واحد، معتقدًا أنه نجح فى إخفاء صلعته .. يقـــول : ارســـموا ما تشاءون .. لديكم حرية كاملة فى اختيار الموضوع الذى تحبونه . ثم يعلن: سأكافئ الأفضل .. سآخذه معى إلى حجرتى فى الطابق الأخير، وأكشف له مزيدًا من أسرار الفن.

أدخـــل الـــتحدى .. أفرش ألوانى الخشبية أمامى .. أوزع على ورقـــتى خطوطًـــا كثيرة تنتهى إلى لاشىء، وبينما أحاول إصلاح رســـومى المشـــوهة، أفاجـــأ بها تخطف ألوانى و هى تضحك .. أطاردهـــا .. تتقافز بين طرقات الفصل الضيقة .. بعد عناء أمسك بها .. أعنفها .. تتوقف عن الضحك .. تمد يدها، تعيد إلىَّ ألوانى ويكتســـى وجههـــا بالخوف والترقب .. أنظر إلى عيونها .. إنها عـــيون أعرفها .. متى رأيتها ؟ وما كل هذا الارتياح الذى يسيل مـــنها فتجعلنى أتخدر ؟ أفشل فى الوصول إلى أجوبة .. أعود إلى مكانى وأبدأ من جديد فى التذكر .

يدخل مدرس الرسم ــ قبل نهاية الحصة ــ قلقاً .. يمسح بعينيه رسومات التلاميذ دون اهتمام .. تستفزه خطوطى المبعثرة وقدرتى المدهشة فى رسم لا شىء .. ينظر إلىَّ وقد تحولت ملامحه إلـــى

علامة اشمئزاز باتساع كراستى .
لما وصل إليها أمسك كراستها .. رفعها عالياً و صاح :
ـــ هكذا تكون الموهبة .
كانت رسماً لوجهى وقطتى تُقَبِّلنى .
بالـــيد الثانية راح يربت على كتفها ثم أخذ فى الهبوط .. توقف طويلاً عند نهدها النابت قليلاً، ثم أمسكها من يدها وسحبها وراءه معلـــنا أنه سيكشف لها أسرار الفن فى حجرته بالطابق الأخير كما وعـــد .. أدارت وجههـــا ومـــدت يدها الممسكة بألوانى الخشبية ناحيتى.
وهـــى تغيـــب تمامًا عن الفصل، كان وجهها لايزال باتجاهى وعيونها تمتلئ توسلاً وألمًا وحزنًا .

(٥)

كعادتنا نلتف حول الطبلية التى يتوسطها أبى فى انتظار أمى .. تتأخر هذه المرة كثيرًا عن موعدها .. تطل علينا ـــ أخيرًا ـــ وبين كفـــيها كـــتكوت صغير لفظ أنفاسه وقد تناثرت الدماء على زغبه الأصـــفر .. تصـــرخ باتجاهى : هذا ليس الكتكوت الأول بل هو السابع .. احترت كثيرًا فى معرفة قاتل كتاكيتى .. أشارت عماتك وخالاتك بأن الذئب والثعلب يلتهمان الكتاكيت كاملة ولا يتركونها قتـــيلة .. ما فعل ذلك روح شريرة تسكن قطتك .. تأخذ أبى جانباً .. تهمس فى أذنه .. يلتقط أبى بندقيته المعبأة دائماً .. يغمد فتحتيها فـــى رأس قطتى التى تستسلم وتكتفى بأن تنظر ناحيتى مترقبة .. متوسلة .. خائفة .
أشد أبى من طرف جلبابه .. تنطلق منى صرخة تتجاوز بيوت قريتنا، وتملأ الخلاء عن آخره .
ينقسم وجه أبى بينى وبين قطتى .. يعيد بندقيتـــه إلـــى كتفـــه

مهمهماً دون أن ينظر إلى أمى .. يغادرنا إلى حراسته .

كمـــا فعلت أمى مع أبى تأخذنى جانبًا .. تهمس فى أذنى : لن تتوقف قطتك عن قتل كتاكيتى مادامت تسكنها روح شريرة .. لقد خلقَ الله لنا النهر ليطهر الإنس والجن والحيوان .

تفـــرش أمـــى جلباب أبى القديم .. بحنان تنقل قطتى المتشبثة بســاقى إلـــى مركـــز الجلباب .. تربط الأكمام بالأطراف، فيأخذ الجلباب شكل القطة .

(٦)

الـــنهر ممـــدد فى الاتجاه المعاكس لمدرستى .. أحضن قطتى المدفونـــة فـــى جلـــباب أبـــى .. أعبر الجسر .. أصطدم بحقول الموز .. أختفى بين أشجاره العالية .. أصل إلى النهر ..أجد ماءه غـــادر الشـــاطئ وترك فاصلاً طينيًا .. أشبك طرف جلبابى بين أســـنانى، وأشمر سراويلى الطويل حتى ركبتىّ .. أصل إلى حافة المـــاء .. ألقـــى بقطتى وأستدير سريعًا باتجاه التل العالى .. أقف فوقـــه أراقـــب جلباب أبى وقطتى تتقافز داخله .. يمتلئ بالماء .. يهـــبط ويعلـــو كثـــيرًا، ثم يغطس ولا يعلو، تاركاً فقاعات تنطفئ الواحدة بعد الأخرى .. يستوى بعدها ماء النهر .

أعود إلى أمى أخبرها بما حدث .. أسألها : متى تعود قطتى ؟ تجيبـــنى وهى تنظر إلى عشتها : فى أى يوم من أيام الغد . أخلع جلـــبابى وأرتـــدى زى المدرســـة .. أخوض وحيدًا الطريق الذى غادره الندى .. أصل إلى المدرسة متأخرًا .. أفتش عنها لأخبرها بمـــا حدث فلا أجدها .. أسأل عنها من فى الفصل فأكتشف أنهم لا يعرفونها، وأكتشف أيضا أننى لا أعرف لها اسمًا .

تتوالى الأيام ويظل الفصل خاليًا منها، فلا هى عادت ولا أمى أجابت .

(٧)

قبل أن تستيقظ أمى أغادر البيت باتجاه التل، وحينما أصله تكون العتمة قد انجلت، وحينها أتوغل فى مراقبةالنهر الساكن .. لا أعرف كم من الوقت مضى، لكنى أنتبه وقد امتلأ المكان الذى غطست فيه قطتى بالفقاقيع من جديد، وبعدها يقذف من بطنه جلباب أبى المدفون بداخله قطتى .. يمتلئ النهر سريعًا بأمواج تدحرج الجلباب المنفوخ إلى الشاطئ .. بقفزة واحدة أمسك بالجلباب أفكه لاهثاً .. أجد قطتى تضاعف حجمها .

أربت عليها لا تستجيب .

أصرخ فيها لاتتحرك .

أرفعها إلى أعلى وأعيد صراخى .. تتساقط من بين أظافر ذراعيها ألوانى الخشبية .

(٨)

يبدأ نهار جديد .. أرفض أن ألتف مع إخوتى وأبى فى انتظار أمى .. أتكوم وحدى بين جدارين .. تأتى أمى تتعثر فى خطواتها .. تقف أمامنا وبين كفيها كتكوت صغير لفظ أنفاسه، وعلى زغبه الأصفر تناثرت الدماء .



المركز الخامس :

ثوب آخر

منى أحمد عثمان الشيمى
نجع حمادى - قنا

ضـــربتنى أمــــى فى أحد الصباحات الربيعية لإصرارى على ارتداء هذا الثوب الذى كان للأخريات حلمًا، لا أذكر أننى حاولت مـــرارًا أن أدخره، خاصة وأنه كان حلمى لأمد طويل، لكن فكرة وجـــود ثوب يبرز جمال تكوينى ولا ألبسه كانت مستحيلة، حقيقة كنت أحتال لألبسه، وحينما وصل الثوب إلى منتصف عمره، كفت أمى تمامًا عن نهرها لى بشأنه، فصار يعرف بى، وأعرف به !

رغم ذلك ظلت أمى تدبر وتحتال إلى أن وفرت لى ثوبا آخر له نفـــس الصـــدى للمناسبات، إلى أن فاجأتنى به يومًا قبل الاحتفال الكبير بحابى [1]، كان بنفس روعة الثوب السابق إضافة إلى كونه جديدًا .

***

تخـــيرت جانب النهر الحانى مكانًا ألعب فيه أنا وأترابى، نحفر قناة صغيرة ننقل إليها المياه من النهر بأكفنا الصغيرة، ونحزن من الأرض التى تسبقنا فتبتلعها، ثم ننسى الحزنِ بكل عنفوان الطفولة ونفـــرح بالطين فنشكل أحلامنا فتيات وفتيانًا يتمازحون، أو نلعب بـــالحذروف [2]، أحـــيانًا أخــــرى تشكل كل منا رضيعًا تقربه إلى صدرها الصغير، ونتشابك فى مجموعات صغيرة نلعب بعرائسنـــا

(١) حابى : نهر النيل
(٢) الحذروف : النحلة

الخشــبية، أو تلك التى نصنعها بأنفسنا من القماش العزيز والقش، حقــيقة فكرة الثوب فى هذا الوقت لم تكن قد اختمرت بنفسى قط، فجمــيع أترابى عرايا، أعضاؤهن تهلل للشمس، ولم يكن شيء ما بجسدى يقلقنى كما أقلقنى فيما بعد .

كنت وأترابى ننمو ببطء وبغفوة منا تحت الشمس، نجتمع فيعلو ضــجيجنا ، ونتشابك فتخرج إحدى الأمهات تزعق فيتشتت الجمع ويتلاشــى، نعــود أنا وأترابى إلى الدروب وقد أعدت أمى غداء أخــى، أذهب به إلى الطريق الطويل، حيث الشمس تجلد بسياطها الأرض، فتحترق وتلهب قدميّ، فأتعجب !

ـ كــيف للإلـــه رع [٣] أن يكــون حانيًا، وقدماى متورمتان هكذا؟!

مازالت بقايا الطفولة، لم يستدر الجسد بعد، فقط شعيرات تنبت تثــير همس العجائز الجالسات فى ظلال الدرب يغزلن ذكرياتهن حديــثاً طويـــلاً وممتعًا، تجلس جدتى معهن بوجه صار صغيراً، التجاعــيد تعيد رسم ملامح وجهها، ولفترة محدودة تبدأ بعدها فى الـــزيادة لتعيد تشكيل الملامح مرة أخرى، ربما لم يفارقها إحساس المرأة الأول، لكن الخبرة أضافت له الكثير !

اســتطعت أن أُحــرك فيهن شيئاً هذه الظهيرة وأنا أمرق بينهن مــتجهة إلـــى داخــل المنزل، ولكنى لم أستطع التوقف لسماع ما بصقته شفاههن، فقط خمنته .

نــدرت فترات خروجى من المنزل إلا قليلاً، أغافلهم وأستجيب لــنداءات الصــغيرات، فنذهب إلى مزرعة كروم الحاكم، نتلمس بعضاً منه، القرد يعصر الكروم بدهسه إياها فى قدور عظيمة ذات فــتحات ، يهرب السائل من تلك الفتحات إلى قدور أخرى ، نلقى الأحجار على القرد، فيلقى لنا بحبات الكروم، نتلقفها سعداء إلى أن

(٣) الإله رع : إله الشمس

يشعر بوجودها الحارس فيتعقبنا، يزداد ضجيجنا وضحكاتنا، كأننا نطلب المطاردة أكثر مما نطلب الكروم .

استطعت أنا والصبايا أن نغوص فى زبد الطين بأقدامنا دونما انزلاق، عبرنا تلك الأرض التى انحسر عنها الفيضان بفرح، هلل الجميع بحق عندما عبرت ولم أسقط، اقتطعت جزءًا من الطين دمجته بحبوب القمح الوفيرة، ثم بدأنا تلك المسابقة فى عصر هذا اليوم، استطعت أن أشكل أوزوريس [٤] بمنتهى الدقة، عدت إلى المنزل متسللة وقد خبأته خلف صومعة الغلال بسطح المنزل، فاجأتنى زوجة أخى بالتقريع والصفع لهروبى من أعمال المنزل الكثيرة، كنت قد تجرأت قليلا لمواجهة الضرب .

قلت لها : أنت هنا لتساعدى أمى فى أعمال المنزل .

أجابت وقد تنمرت : أنا هنا زوجة أخيك فقط .

عدت بصوتى وقد تراجعت جراءتى : ولكنك يجب أن تعملى .

ـ أنا هنا زوجة أخيك فقط، أعمال المنزل لك ولأمك إن أردتما أن تعيشا فى سلام .

وحينما نمت البذور على جسد التمثال الذى سأتفوق به على جميع الصبايا، انطفأت أعناقى الملتهبة .

هناك عند بركة الماء قرب المنازل، حيث الكتان الراقد فى الماء، وأمى وهى تستعجل المحاق، نذهب معًا وقد برز نهداى، واستدار الجسد قليلاً، تحثنى على السير، وحينما نفعل تسطر خطواتنا سجلاً حالكًا .

ـ كيف لنا بالسرقة يا أمى لو افتضح أمرنا ؟!

** اصمتى .. ألم تكن فكرة عمل الثوب فكرتك ؟

ـ نعم ولكن السرقة .....

قاطعنى صوتها محذرًا :

---

(٤) أوزوريس : إله الأرض والموتى

** قلـــت لـــك اصمتى، أما وقد استدار جسدك ؛ تحولت عيون الفتيان إليه .

ــ تراجعت الآن، فأنا قليلة الخروج من المنزل .

** لا أريـــد لك البقاء به، خروجك سوف يتيح لأحدهم رؤيتك، فيتقدم ويتزوجك .

ــ ولكنها السرقة!

** ولكنه الستر

ــ ليتنا نعود يا أمى !

** قلت لك اصمتى

صـــمت، ولكـــن قلقـــى وجد له منافذ أخرى، فارتعشت يداى، صارت خطواتى ثقيلة حتى بركة المياه، استوقفتنى أمى بإشارة من يدهـــا، بـــدأت فـــى الانحدار مع الأرض للمياه، رغم ستار الليل المسدل بقوة، لم تهرب أى من مشاهد الموقف، انطبعت فى مخيلتى كشىء خالد .

وقفتْ أمى عند حافة البركة النائمة، وقد ظهرت صورتها على صفحة المياه شاهد عيان لما تفعله، هربت تلك الصورة حينما بدأت أمـــى فـــى سحب حزم الكتان الراقدة، كأنها ترفض دور الشاهد، ناولتنى إياها وسحبت أخرى، ثم عاودنا السير باتجاه المنزل .

اســـتطاعت أمـــى إخفـــاء حزمتى الكتان فى الحجرة المهدمة بالسطح، فى الصباح أحضَرَتْ قوالب الآجرّ فصنعتْ حائطًا شبكيًا ليحجـــب ســـرنا عـــن الجيران، أما زوجة أخى فلم تهتم بما نفعله بأعلى، طالما أننا نفسح لها مجالاً لتملك الدور الأرضى .

استعاضـــت أمـــى عن نقع الكتان برشه بالماء، رصت عيدان الكـــتان بطول أرضية الحجرة، وحرصت على عدم جفافه، حتى تتآكل قشرته الخارجية تمامًا .

كان للمحاق يوم وينير السماء الهلال ثم القمر، وكان لابد لـــى

ولأمـــى من رحلةٍ أخرى، أحمل فيها قلبى الصغير على كفى كلما سقط وتهاوى خوفاً .

لمحت ارتعاشة يد أمى بلحظى، ولكن لسانى لم يجـــرؤ علـــى مكاشفتها بذلك، فقد تذكرت حديثها فى الليلة السابقة :

** خروجك سوف يتيح لك الزواج، ولى التخلص منك .

أتذكـــر أمـــى وهى تصحبنى مرتعشة إلى البركة التى لا قمر فـــيها، أنتظر فى القرب، وتذهب وحيدة، تعلو على خوفها وتعلو، فتشـــكل صـــلابتها ملامح وجهها جافة وقاسية، نحمل حزم الكتان المبـــتل مـــن الـــبركة ونعود، نرفع الكتان الذى زالت عنه قشرته الخارجـــية وظهرأسفلها الغِزل، نفرش الآخر مكانه ونرشه بالماء، نرقب نظرات الجيران علً أحدهم اكتشف أمرنا، نثير الحديث عن كـــتان الحاكم الراقد بالبركة أحيانا علهم يعلموننا بأن أحدًا سرقه، نقتل الرهبة بداخلنا، ونسير بخطى ثابتة نحو الجمود .

** بقى حزمتان فقط، زيارة أخيرة ونستكمل ثوبك .

قالـــتها أمى وهى تفرش الكتان الذى حملناه الليلة تبتسم فتظهر تجاعيدها حول فمها جلية .

قلت لها : كفى يا أمى فليكن الثوب قصيرًا

** ثوب قصير عمل عظيم ناقص .

ــ يكفينا شر المغامرة .

** تريدين لساقيك أن يظهرا

ــ لا

** كل ما بداخلك يدور، يمر علىّ وأعلمه .

ــ لا صدقينى، أنت تعلمين أنى أكره العرى

** ولكنك تريدينه قصيرًا، يتمنى الفتى لو يرى ما يخفيه الثوب الطويل، فيفكر فيك أكثر ويتمنى منك أكثر .

ــ أكره التفكير بهذه الطريقة

** إنهـــا طـــريقة كل الأزمنة وإنى لمدركة ما لا يدركه عقلك الصغير .

لــــم أجب، ولكنى كنت أمقتها وأمقت تلك الطريقـــة، أين النار وهـــذه الحجرة تحرق ما فيها فأسترح، قلت ذلك بلسانى، ولكن فى الحقيقة كنت متلهفة جدًّا لهذا الصباح الذى سوف يأتى ويعكس فيه ثوبى الكتانى الأبيض ضوء الشمس .

لــــم تكـــن سرقة الكتان بالعمل الصعب إذا ما قورنت بمواجهة الـــناس بــــه، خرجت أمى هذا الصباح لجدتى وهى تبتهل للشمس الدافـــئة، كومـــت أمامهـــا مِنْ نسيج الكتان ما أثار همس العجائز الجالســـات جوارها، استطاعت أمى التى نالت من تدريب الجمود الكفايـــة، أن تقنعهـــن بأنها إحدى الهبات السخية من زوجة حاكم الإقليم .

ثبتـــت أمى عصوين فى الأرض لفت عليهما بدايات من ألياف الكـــتان الـــناعمة، بنت جدتى عليهما بناءها من النسيج الذى يومًا وراء يوم كان فى طريقه للاكتمال .

بـــدأ تيبس يدى جدتى يزول تدريجيًا، أثبتت لأترابها بعد فترة قصـــيرة أنهـــا المتقدمة عليهن جميعًا فى السابق، وفى هذا الوقت أيضًا .

اتخذت مجلسى هذا الصباح عند بوابة المنزل المرتفعة قليلاً عن أرضـــيِّته، كنـــت أرى زوجـــة أخى وهى ترطب جسدها بالدهان المُعَطـــر فى هذا الوقت من الصباح، تلمسًا للنعومة التى دائمًا ما يذكـــرها لهـــا زوجها، وقعت نظراتى على جدتى فى الدرب وهى تغـــزل بمهارة، أرقب بناء الثوب سطرًا سطرًا كالنص الذى يفشى كل شىء عند قراءته .

لـــم تقتنع زوجة أخى بالقصة التى اقتنع بها ــ على مضض ــ الجيران، ظل فضولها ينضح مع نظراتها أيامًا، ولكنها كانت قانعة

تمامًـــا بتقوقعي على نفسى، وصمت أمى، وهروبنا لحجرة السطح دائمًا، ربما زادت من نظراتها الفضولية حينما أدركت هروبنا .

فاقــت جدتى تصوراتنا فانتهت من نسج خيوط الكتان جميعها، كـــان لا بد من الانتظار أياما طويلة، كى نستكمل لها سرقة آخر حزمتين، توقف العمل على ذلك النول المنصوب هناك، عللت أمى أســـباب هـــذا الـــتوقف باعـــتلال يد الجدة، ربما لم يهتم الجيران بالتوقف، ولكن أمى بحثت عن سبب لذلك، وأعلنته لتهدئ من توتر نفسها قليلاً .

أيقظتـــنى أمـــى فـــى غفلة المساء الكحلاء، سرت نصف يقظة وراءهـــا، أقلـــق بقدمى سطح الأرضِ الساكن، وصلنا إلى البركة فأعادت علىّ أوامرها بالانتظار، نزلت مع هبوط الأرض، تناولت بـــيديها حزمـــتى الكتان، وصعدت، كان توترنا أقل من ذى قبل، لـــتعودنا علـــى ممارســـة الفعلـــة بكـــل تفاصيلها، ناولتنى إحدى الحزمتين، حملتها، هممنا بالسير، خرج من الأرضِ ذلك الرجل ــ ضخم الجثة ــ المكلف بحراسة الكتان . صرخت من هول المفاجأة وربمـــا لم أصرخ ! تحت تهديده بافتضاح أمرنا ومعاقبتنا، سارت أمـــى معه إلى ذلك الخص القائم بالقرب، الذى يقيه برد الساعات الأخيرة من الليل، أمرتنى أمى بالمكوث مكانى، ومعى الحزمتان .

كـــم من الوقت مر، وأمى هناك ؟ سألت نفسى والقلق ينهشنى وبـــرودة تغـــزو أجزاء جسدى العارى، لم أدرِ ما اللحظة فى هذا الوقت، لم يكن لها وقتها المعتاد القصير، أبداً !

عـــادت أمى مهوشة الشعر، وقدماها زاحفتان، وراءها الحارس الذى سحب لنا حزمة ثالثة حملّها لأمى دون حديث، فعاودنا السير صامتتين باتجاه المنزل .

أسقطت ما حدث فى هذه الليلة من ذاكرتى، ولكن علاقتى بأمى لم تعد كسابق عهدها منذ ذلك الوقت، لم تلتق نظراتنـــا إلا لتؤكـــد

ذلك الشرخ الهائل القائم بيننا .

كنت بحجرة السطح أرقب جدتى من فتحات الجدار وهى تنسج نهايـــات قصـــتنا المخجلة، رغم ذلك لم يقل فرحيٍ بثوبى قط، أما العجائز بجوارها فكن يتبعنها بنظرات لا مبالية حيناً، وحاسدة حيناً آخر .

دعتنى صديقاتى مرات للخروج معهن، نفدت جعبة حججى قبل نفـــاد صـــبرهن علـــيّ، خرجت معهن إلى المعلم بمدرسة المعبد؛ ليباركنا، ثم اتخذت خطواتنا مسلكًا مختلفًا هذه المرة، دفعنا فضولنا لاخـــتراق حـــى النبلاء بجسارة صيادى أفراس النهر ذاتها، وقفنا بمحـــاذاة السور النباتى لأحد تلك المنازل، كان للهواء بهذا المكان شذى الربيع، الذى يمر على دربنا ولا يسكنه، فقط يذكرنا بوجوده.

تخلـــل تلك المغامرة شرودى، عاد تفكيرى لمجلس الجدة وهى تغزل صامتة، وأمى التى كثرت فترات صمتها مؤخرًا .

ضـــاقت صديقاتى بصمتى وتكرارية حتى على الحديث، عدنا للـــدرب، كانت الرحلة آخر محاولاتهن معى، رأيتهن فيما بعد قد تجمعن للعب بالقرب، أو وهن يتسللن بعيدًا عن الأعين .

انتهـــت جدتى هذه الظهيرة من نسج الكتان الذى سوف تخيطه أمـــى ثوبًـــا، كانـــت فرحتى به غامرة، تخيلت أننى به أعلو على زوجة أخى المستبدة، وأحول أنظار جيراننا عن بهائها ونعومتها، تخيلت أننى سأصد به عيون الفلاحين عن الجزء الذى سيتحور فى القريب، وبه سأتميز عن صديقاتى العرايا، فيعدن للتقرب إلىّ .

أحضرت أمى الكتان لداخل المنزل مبتسمة، تناسيت ما بيننا فى غمرة فرحتى، لفت به جسدى من أسفل الذراعين، فغطى ركبتى، كانت فرحتها به أكثر من فرحتى وتمتمت بكلمات تدل على وعيها بالخياطة، وأشارت لجوانب النسيج، حينما استفسرت عن الحمالات التى ستثبت الثوب على كتفىّ أجابت :

** سنصنعها من باقى الكتان المضفور

ـ سيكون مميزًا

** إنه تمييز لك ارتداؤك ثوبًا دونما حليات .. يكفى أنه الثوب

دخـل أخـى وأنـا وأمى نتحدث، فاكفهر وجهه، وتساءل عن مصدر كتان الثوب .

** ألم تقل لك زوجتك إنها إحدى الهبات السخية من الـ : نبت حاسوت [٥] ؟

ـ أين أنت ورؤية الـ : نبت حاسوت ؟

** إنـنى لـم أقابلها، لقد ذهبت للمعبد، فأعطوا لى من الكتان الحزم الكثيرة .

ـ ولمـاذا لم يعطوا الباقين؟ هل وضعت ريشة ماعت [٦] على رأسك ؟ أم ظهرت علامات سجودك لـ " رع " فى جبينك ؟

** لابد للابن أن يصدق أمه .

ـ حينما تقول الأم الصدق

** اصمت .

ـ مـتى يحين أجلكما ـ وأشار إلى وإليها ـ فأفرغ لمسئولية أولادى ؟ وأعدك يا أمى أن أعلمهما الصدق .

تركنا وانصرف، وانصرفت زوجته وراءه بملامحها الجامدة.

ثوبى الذى بدأت أفكارى تفتش عنه فى الأماكن التى اعتقدت أن أمـى خـبأته بها، تحركت أعضائى بفعل قوة أفكارى للبحث عنه أيضـًا، فبحثـت عنه داخل الصندوق الخشبى العتيق، بقايا عرس أمى، فلم أجده ، وكذلك داخل صومعة القمح الفارغة حتى آخرها ، قادنى تفكيرى أسفل الحصر والشقوق ، قرب اليأس هدانى تفكيرى للسلة المدلاة من عروق الخشب بحجرة السطح، فوجدته ، يؤنـس

---

(٥) نبت حاسوت : زوجة حاكم الإقليم .

(٦) ماعت : ربة العدالة .

المكـــان بدقة نسجه، لمسته يدى أخيرًا، لففته حول جسدى فتوارت قســماته الصريحة لتحل محلها قسمات لينة، تظهر بوضوح أسفل الثوب .

أمعنــت التفكير فى أسرع الطرق لارتدائه، أمى هى التى تملك مفاتيح ذلك ! إذن كيف لى وإقناعها بسرعة الانتهاء من حياكته ؟

هبطــت درجــات السلم حيث أمى وهى جالسة قرب الفرن بجوار جــدار المــنزل الخارجى المطل على الزروع، فرغت من إعداد أرغفـــة الخبز، جلست جوارها بهدوء ظاهرى، وعقلى يعمل بكل جد فى إيجاد الطريقة التى تتحمس بها لحياكة الثوب .

ظللنا صامتتين ثم تحدثت إليها وقد رسمت على وجهى علامات ذعر مقنعة :

ـ أمى لقد رأيت قطرات دماء وحيدة تتدفق هنا .

** أين آثاره ؟

ـ اغتسلت منها قبل مجيئك، لقد ارتعبت من مرآها

** فــتاة خبيــثة مثلك لا ترتعب، ألم تنتظرى ذلك ؟ ألم تطلبى الثوب لتخفى به ما سوف تكمله لك " حتحور " (٧) ؟

تركتها وعدت لمكانى بالسطح، وقبلها عبرت على حجرة زوجة أخـــى المتكــئة على مسند رأسها المبطن بالنعومة، فنادتنى بلهجة آمرة لم أملك معها إلا الانصياع :

ـ أهملتِ شئون المنزل تمامًا، يجب أن تواظبى على المشاركة للتعلم، كما الربة حتحور لا تؤجل عمل يومها إلى الغد . فار فمها بضـــحكة ، فلـــم أنتظر ، بل ارتقيت السلم سريعًا ، وقد بلغ حنقى منها الذروة .

أيقظتـــنى تقلــبات أمى القلقة فى مرقدها، والسماء الكالحة التي تطل من عل، تذكرنى برحلاتنا السابقة إلى البركة، لم أبدِ حراكـــاً

---

(٧) حتحور : الربة الحامية للنساء والخصوبة

يـنم علـى اسـتيقاظى، ولـم تدرك أمى يقظة أفكارى التى تملأ مضجعى ضجيجاً، استقامت بحذر ــ أدركت حذرها لحرصها على ألا تحـدث أصواتا البتة ــ فزادت حساسية حواسى لكل حركاتها، أمالـت الجـرة، فرق لها الماء على كف يدها، ابتلعت جزءًا منه، ومسـحت بباقـيه وجهها، تسللت لخارج الغرفة، وسمعت حفيف قدمـيها علـى الدرج، وباب المنزل المطل على الدرب وهو يقفل بحـذر، لم أكن لأسمعه لولا قياس حواسى لزمن هبوطها الدرج، وقطعها مسافة السقيفة بأسفل .

حقـيقة جفاني النوم بعدها متسائلة : ترى أية جهة سلكت بكل هذا الغموض وكل الأفعال خافية خلف ستور الليل ؟

انـتظرتها وقتاً طويلاً ربما ساعتين، ولكن النوم هجم من مكان ما، لم أستطع معه إلا الاستسلام له .

بحثت عن نسيج ثوبى هذا الصباح فى مكانه فلم أجده، اعتقدت أن أمـى خبأته فى مكان آخر، فتوقفت محاولات بحثى، فى الأيام التالية عاودتنى رغبة رؤيته، تكرر ما حدث سابقاً، سألت أمى فلم تجب، مما أثار ضيقى .

أثار أخى موضوع الكتان ثانية بعد أن قدم من المقبرة، واجهته أمى بعصبية قائلة :

** لك ما شئت فى عدم تصديقى، فقط لا تكرر ما قلته .

ــ أين لكم والكتان ؟

فلـم تجب وانطلقت تعدو هربًا من أمامه ،كأنها تهرب من ظل " بر ــ عا " (٨) .

كثر تسلل أمى ليلاً، وقضاؤها شطر الليل الأخير بالخارج، كان الـنعاس يغلبـنى حيـناً، فلا أحس عودتها ولكنه لم يغلبنى أحياناً أخرى، فأنتظرها وقد عادت على تلك الهيئة التى أبصرتها بها ليلة

(٨) بر ــ عا : فرعون، فأل سيئ أن يسقط ظل فرعون على أحد العامة .

لقائهـــا وحارس الكتان، متعبة، مبعثرة الشعر، ناقمة، حتى أنها لم تكن تبالى إذا ما ادعيت الاستيقاظ من كثرة ما تصنعه من حركة .

فاجأتنى به يومًا، فى الصباح الباكر، فصدق حدسى بخصوص خـــروجها ليلاً، أيقظتنى والثوب بيدها ناصع البياض، يعكس أشعة الشمس المنبعثة من فتحات الجدار، ويؤكدها، لا أنكر أن فرحى به قلص الإحساس المتولد من اكتشافى لحقيقة خروجها، فالثوب وهو الحقيقة الآن سوف يراه الناس جميعًا، أما خروجها، فكان فى طى الكـــتمان إلا مـــن همـــس نفسى، سألتها وكان لسؤالى شطر خفى أتلمس منه الحقيقة :

ــ من صبغه لك يا أمى ؟!

** لقـــد صـــبغ كمـــا لم يصبغ ثوب لفقير أبدًا، فلقد نال شرف صباغته بمصابغ الحاكم، حيث ثياب زوجته وبناته .

قلت لها والحيرة الظاهرة على وجهى لا أثر لها بأعماقى :

ــ أين نحن ومصبغة الحاكم ؟

** إنـــه حـــارس الكـــتان الطيب، الذى أهدى لنا حزم الكتان، أتذكرين ؟

ــ إنه حارس الكتان، ماله والصباغة ؟

فردت : جاملنى بصباغة الثوب، إتمامًا لمعروفه .

صـــمتُ وصمتت، ونظراتى التى تفضح اطلاعى على كل ما دار تفضحنى .

لـــم تدع لحظة تمر، كانت قد أحضرت سلفاً مقصاً مسنوناً من معـــدات " رخمـــيرع "، فشرعت فى قص وحياكة الثوب الذى ما غربـــت الشـــمس إلا وكـــان قد اكتمل .. حقيقة المرور على هذا الموقـــف وتلخيصه صعب على نفسى، فلقد تعلقت عيناى به وهو يشكل، ولم أود مطلقا أن تقص منه الفائض، كنتُ أودُّ منها أن تبقيه بـــالداخل، ويستطيع الخيط والمخيط إخفاءه، ولكنها أرادته ــ كما

قالت ــ عملاً عظيمًا، وبخصوص شرائط الفائض فلقد صنعنا منها ضفيرة متقنة كانت حمالات الأكتاف .

لملامسة الثوب لجسدى إحساس ممتع، انزلق الثوب عليه، وانحدر بنعومة إلى أن غطى ركبتىّ، استقرت حمالاته على كتفى المستديرة، فكان مربع صدرى منيرًا، عند الخصر كانت أمى قد سحرت الخيوط، فعرفت طريقها جيدًا، وعلمت سلفًا نحافة خصرى، فاستعدت له، والتفاف الثوب الذى ينفرج مع خطواتى ويضيق، فيظهر استدارة الجسد ورشاقته، وصلت ثقتى بنفسى أعلى قمتها بارتدائه وإخفائه لمعالم خجلى، وانتظرت الصباح الذى سوف يأتى على صديقاتى فيروننى وقد ارتديت من آيات " رع " أروعها، وتزينت من " باستت " [٩] دلالها ومن "حتحور" رشاقتها، ودقة صنعها .

لقد كان موسم إزهارى، فحصدتُ رءوس الفلاحين فى الحقول، أما العجائز فى الدرب فقد اتسعت عيونهن لتشمله، كأنه باتساع الأرض !!

تسللت بثوبى الذى التمع فى عيون من قابلنى، ذهبت إلى أقرب صديقاتى، حدثتها عن رغبتى فى العودة للعب معهن، متعللة بأن ما شغلنى عنهن أعمال المنزل الكثيرة، سألتها عن أحوال باقى صديقاتى، حقيقة لقد كانت مقابلتها لى فاترة، ما أدهشنى أنها لم تشر إلى ثوبى أبدا كأنها لاتراه، كأنها ما زالت ترانى عارية، لم أدرك حقيقة ما يدور بداخلها، ولكنى لم أترك الفرصة، قلت لها إنه باقى نسيج أعطاه لى أخى ــ حصل عليه نظير عمله لدى الحاكم ــ فحاكته لى أمى ثوبًا، وضعت كلماتى فى فمها لتنطق بها مع باقى صديقاتها، وتخبرهن مصدر الثوب، فتبرأ ساحتى .

مرت الأيام وبمرورها فقد الثوب بريقه، لم يحقق لأمى ما

(٩) باستت : ربة الدلال

تمنـــته، أما قلقى فقد زاد كلما فقد الثوب اهتمامه لدى العامة، كنت كالقمر يطلب الناس ضوءه فقط، أما القمرنفسه فكان صعب المنال، هل هذا التشبيه انطبقِ على بالفعل ؟ لا أدرى ولكن الأنظار كانت تنهال على إذا مررتُ، ولا تطلبنى إذا لم أمر !

لـــم أهـــتم بفقدان بريقى فى مجتمع العامة، أما أملى فى العبور علـــى جســـر آمالى إلى النبلاء فقد تزايد باطراد مع فقدان العامة لاهتمامهم بى .

هل رفعنى ثوبى بعيدًا عن آمالهم ؟ هل اكتشف الناس مصـــدر الكتان فلم يعد بصمة وصار وصمة ؟ أسئلة كثيرة دارت بعقلى ولم أجد لها إجابة .

لم تتوقف رحلات أمى الليلية، تعودتُ على اختفائها فى الليالى الحالكة، لذا حينما فاجأتنى بثوب جديد تماما، لم يكلفنا سرقة الكتان والنسيج والحياكة، لم أندهش، لكن فرحتى قلّـــتْ !

زوجـــة أخـــى لم تعد ترقد فى حجرتها، بل فى أفكارى، كنت أراها دوماً تتحرك فى عقلى، وتخرج لى لسانها .

لـــم تحضر صديقاتى كما كنت أرغب، لمحتهن فى عيد الربيع وقد تجمعـــن قـــبل الشـــروق للاســـتحمام فى النهر، ودعك أجسامهن "بالغبـــيرة" [١٠]، وددتُ لـــو أخـــرج إليهن عارية ــ كما كنت ــ فأشـــاركهن مرحهـــن، لكن قدمىّ لم تأخذانى لمكانهن، بل ذهبت بعيدًا، سبحت وحيدة إلى أن مللت المياه، فخرجت من النهر والمياه تقطـــر من جسدى كالدموع ، وترسم على الأرض اتجاه سيرى ، عـــدت إلى المنزل أنعش بجسدى العارى الهواء، وعندما وصلت فاجأتنى أمى قائلة :

* أين ثوبكِ ؟

استدركتُ الأمر، وأرسلت أحد أبناء أخى، لإحضاره .

(١٠) الغبيرة : نبات ينمو على شاطئ النهرويمنع الأمراض الجلدية

أعمال مختارة
شاركت فى المسابقة

اكتشافات

أشرف نصر أحمد نصر
الفيوم

سُـئلت مرة عن أحب الألقاب إلى نفسى .. فترددت فترة لأننى اكتشفت أننى أكره اسمى نفسه !

شطب الكاتب الفقرة السابقة وقال لنفسه :

ــ لا تصلح بداية لقصة

أمسك ورقة بيضاء وكتب :

بيـنما يحكـى الولد الذى يصغره بخمس سنوات عن مغامراته الجنسية المتعددة .. قال هو محاولاً صبغ صوته بالحكمة :

ــ لن تفض بكارتى سوى من أحبها !

اكتشف أن الولد الذى يظنه سينبهر من جملته .. يضحك عليه! الغريـب أنه اكتشف أيضا أنه يكذب .. فقد مر ببعض المغامرات وكلها مع فتيات لم يحبهن .. وتذكر أول تجربة مرت به فاكتشف أنها منذ زمن بعيد لدرجة نسيان بعض تفاصيلها .. لكن ما يذكره السـرعة والرعـب مثل أى لقاء أول .. وما يذكره أكثر نظرات كراهية البنت وغصة حلقه كلما رآها ..

توقـف الكاتـب وأعاد تشغيل " الكاسيت " لكى لا يقطع أفكاره التى اندفعت إلى الورق :

كـان يعبر الشارع حينما قابلها .. سألته عن شىء ما وأجابها عـن الساعة .. لكن حينما هرول الرجل يضربها اكتشف أنها لم

تكـــن تريد معرفة الوقت .. وأن الرجل يضربها فى جنبها بعنف وقسوة غريبة .. وأنه يسحبها على أسفلت الشارع وهو يشدها من شـــعرها .. المخجـــل اكتشافه أنه أسرع فى خطواته .. وبعد أن نظرت ناحيته والرجل يضربها منع نفسه بشدة من التوقف لمجرد السؤال .. نظر لساعته وفر من المكان قائلاً لنفسه :

ــ لقد تأخرت كثيرًا .

قلـــب الكاتـــب الصـــفحة وعدل ورقته وفكر قليلاً .. ثم عاود الكتابة:

لمـــاذا تفضـــحه عيونه هكذا ؟ هذا ما اكتشفه حينما وقف مكان المـــدرس فـــى الفصل .. يشرح للطلاب وللمدرس الجالس مكانه ســـعيدًا بلباقـــته ووعيه السياسى ، مشكلةَ العرب الحقيقية .. كان يتحدث بانفعال وبسرعة .. لكن بثقة أسعدت المدرس وأثارت حسد زملائـــــه .. وحيـــنما جاء وقت أسئلة الزملاء أعطى البنت فرصة الســـؤال الأول .. وأجابها ثم أجاب الباقيات وبعض الأولاد ، لكن عـــيونه فضـــحته .. واكتشف أن كل من فى الفصل عرف بعشقه للبنت ..وأنه حتى قبل أن يسمح لها بالسؤال الأول .. ومن اللحظة الأولى لم يكن يركز سوى فى عينيها ..

هكـــذا اقتحم الكاتب عالم الكتابة .. لذلك ثار وصرخ فى وجه أخـــيه الـــذى دخـــل عليه الغرفة .. ليخرج ويكمل هو كتابته فى عزلة..

هـــل كان غبيًا لهذه الدرجة ؟ كيف يعرف من الأصدقاء وبعد أربع سنوات كاملة عن البنت التى أحبته عامًا كاملاً دون أن يعرف .. أو بـــالأدق دون أن يفهـــم؟ وحتى عندما تركها والتحق بكليته افتعلـــت العديـــد من الزيارات لأماكنه المعتادة دون أن يدرك .. واكتشف أن محاولتها الفاشلة والساذجة للانتحار .. والتى ظن أنه سمع بها من صديقتها بطريق الصدفة كانت من أجله .. بعد أربع

ســنوات كاملة وبعد أن تزوجت البنت .. وهو ما حدث أيضًا بعد موافقته غير المقصودة حينما زكّى المتقدم لها أمام صديقتها وهى تسأله عنه .. اكتشف وهو يضرب رأسه بكفه أنه لم يكن غبيًا فقط بل قال :

ــ ولم أستحقها أيضًا .

كانــت رائحـــة جميلة تلك التى هبت على الكاتب ففتح الشباك ووقــف يستنشق الهواء .. عبرت جارته تحت الشباك فاكتشف أنه بالفانلة الحمالات والشورت .. فدخل بسرعة وعاد للكتابة .

مــا الــذى أفقد الآخرين أسماعهم لهذه الدرجة؟ لم يعد يسمعه الأصدقاء ولا الأهل ولا حتى ركاب المواصلات .. كل من حوله يتكلم .. لكن لا أحد يسمعه .. لذلك وبعد عدة مرات اكتشف أنه صار يحدث نفسه .. الغريب أنه لم يعد يخجل من ذلك .. ولم يعــد يضم شفتيه فجأة حينما يلمح من ينظر ناحيته .. الأغرب أنه صار يستمتع بأن يراه الناس يحدث نفسه .. حتى حين عنفته أخته بســبب احــترامه الذى يفقده تدريجيًا بين الناس .. والضيق الذى سببه لهم .. قال ببرود :

ــ هذا بالضبط ما أريده !

أشــعل الكاتــب السيجارة الأولى لكن سعاله الحاد جعله يطفئها وهو يكاد يختنق .. واكتشف فجأة أن الطبيب منعها عنها منذ أزمة القلــب الأخــيرة .. فلم يعرف لماذا اشترى العلبة وقد التزم فعلاً بالتعليمات ؟ بعد أن انتظمت أنفاسه أمسك القلم ليكمل :

أعدوا لهذه المظاهرة فى ثلاثة أسابيع كاملة .. كان يوم السادس مــن أكتوبر والاحتفالات الصاخبة بالبلد لا تتكرر إلا كل عام .. فكــيف يترك هو وزملاؤه فرصة مثل هذه ؟ لذلك وخوفًا من أى خطأ .. استعدوا جيدًا ووضعوا العديد من الخطط البديلة .. واستعد كل منهم لدوره فى إخلاص شديد .. قبلها بليلة كــان كــل شــىء

جاهزًا .. وحينما راجعوا كل التفاصيل قالوا :

ـ سنهز هذا البلد .. ياللروعة !

وبعد نشوة تخيلهم لاكتشاف الناس لما سيحدث فى أكبر ميادين البلد تفرقوا .. وفى طريق عودته غنى لأول مرة منذ سنوات بصوت عالٍ .. غنى بفرحة لم تقترب منه منذ مات أبوه وتزوجت حبيبته .. ومنذ أصبح موظفًا سخيفًا مثل الباقين .. وفى بيته وبينما يستعد للنوم دق جرس التليفون .. واستمع بدقة لرجل الأمن الذى روى له كل ما ينوون فعله فى الصباح .. وبسهولة غريبة اعترف واعترف .. وأقر ببقية الأسماء التى لم يذكرها الرجل .. ووافق على أوامره بعدم الذهاب والاستمتاع فى بيته بمظاهر احتفالات أكتوبر .. وبعد أن أنهى مكالمته لم يقدر على النوم وقد اكتشف لأول مرة مدى جبنه .. وغاظه بشدة تلك السرعة التى انهار بها .. لكنه قال لنفسه :

ـ غدًا ستبرر كل شيء لنفسك .. ياللحقارة !

توقف الكاتب عن الكتابة وبحث عن نهاية للقصة .. لكنه لم يقدر على كتابة كلمة واحدة .. وضع القلم ومزق كل ما كتب وهو يبكى بشدة .

مرارة

عبد الجواد محمد الحمزاوى
المحلة الكبرى ـ الغربية

١ - فنلكة تاريخية :

فى مدينتنا، تلك التى كانت طيّبة ، ما يزال الناس يتحدثون عن الأصل والأصول، ويتحدثون عن عمدة مدينتنا الأكبر، ذى الأصل الشريف، يوم أن أمسك بسمكة صغيرة اصطادها أحد أطفال قرية من قرانا التى كانت طيبة .. كانت السمكة لا تزال حية .. وكانت من نوع نادر شهى يحبه العمدة .. هكذا قالوا .. وقالوا إنها كانت أنـثى وإن عمـدة مدينتنا ألقاها فى النهر الكبير وهو يقول : أيتها السـمكة اذهـبى لأى المياه شئتِ .. عذبها ومالحها .. ثم اكبرى وبيضى أينما شئتِ .. فسوف ولابد تأتينى أنت أو يأتينى أولادك .. ثم ضحك ..

وعلى الرغم من أن كثيرًا من أبناء مدينتنا البررة، بُحَّ صوتهم وهـم يحدثـون أبناء مدينتنا الأصلاء عن أن أكرم الناس عند الله أتقاهم، وأنه لابد من العمل المخلص الدءوب لنعود كما كنا .. إلا أن أهـل مدينتـنا كلهم لا يزالون يقولون : " خير أمتى فى المدن وأوسـطها فى القرى وشرارها فى العزب " .. ينسبون هذا الكذب السخيف للنبى ويضحكون .. لم يقف الأمر عند ذلك .. بل تراهم فى كل وقتٍ وحينٍ يقولون : " كلاب البلد خير من رجال العزب "

ولكن الذى حيرنى أنا وأدهشنى ، أنهم كانـوا لا يملـون مـن

الحديــث ــ مع ذلك ــ عن أننا نعيش فى الزمان الذى تحدث عنه تــبــُـعٌ اليمانى حين قال : إنه سوف يأتى زمان تصح فيه "الندولة" والأراضى المجهولة .. لا أدرى من أين أتوا بهذه الكلمات ولكنهم يؤمــنون بهــا .. وهم ــ كما تعلم ــ يقصدون بالندولة الأنذال .. والــندولة أو الأنذال تعنى فى مصطلحات مدينتنا التى كانت طيبة أولئك الأشخاص غير الأصلاء ومن تتوفر فيهم كل صفات الخسة والدنــاءة .. كما تعرف أنت وأعرف أنا .. وحين يصلون إلى هذا الحــد يســكتون كأنمــا أصابهم الخرس .. ثم يتفرقون .. كل فى طريق .. يطل الخوف من عيونهم ويرتسم على وجوههم ..

فــى الحــق أنــنى أعذرهم .. فهناكٍ وحش مخيف يسكن تلك الأراضى التى كانت مجهولة أيام تــبــُـعٌ اليمانى .. كان قاسيًا لا يرحم .. وكان أهل مدينتنا ــ تلك التى كانت طيبة ــ لا يزالون ــ حتى وقت قريب ــ يناصبونه العداء، ويحلمون بالقضاء عليه ..

٢- اضطرار أم اختيار ؟

حقــيقة، لا أدرى ماذا أقول .. هل ذلك الذى حدث كان نتيجة لســوء الطالع أم أنه كان نتيجة دعوات صالحات دعاها مخلصون من مدينتنا التى كانت طيبة وقت السحر ؟

فــالولد، نشــأ فى مدينتنا صغيرًا ككل الأطفال، وكان ذا أصل عريق، أحس بالحياة، يوم أن أحس بها ، تضحك له ملء أشداقها، لم تكن ملاعق الذهب بالنسبة إليه مثلاً أو حلمًا ، ولكنه لا أدرى، أكــان ذلك لسوء حظه أو لحسنه، أخذ يقرأ تاريخنا، وكان أول ما قــرأ أن اســمه من أسماء الأسد، كنت معه عندما اكتشف ذلك، لم أســع لذلك والله ولكنه حدث قدرًا، حينها قرر ذلك الولد أن يكون هــو الأسد، خاصة حينما علم، ذلك الولد، أن وحش تلك الأرض التى كانت مجهولة جبان، يحب الحياة كما يحب هو الموت .

ماذا يفعل ذلك الولد الأسد .. أخذ يفكر ويفكر .. كيف ينتقم من ذلـك الوحـش الذى أذاقنا كلنا وبالمكيال الأوفى الذلة والهوان ؟ ونحن ـ أبناء الأصول ـ لم نكن نستطيع حتى أن نعلن رفضنا .. بل إن واحدًا منا، وهذا أذكره دون مبالغة .. هذا الواحد كان يعانى من دمل فى فخذه .. هكذا قال .. وقال : إن الأطباء حاروا فى هذا الدمل، فهو لا يستجيب لمضادات حيوية .. ويتضخم بصورة كبيرة .. وفـى يـوم أغر مبارك .. هكذا يقول هذا الواحد الذى هو من مدينتـنا ذات الأصـول .. بعثـت الرحمة رجلاً من أعوان ذلك الوحش ليركل هذا الواحد برجله ..

هل تدرون ماذا حدث ؟ ذهب الدمل كأنه لم يكن .. استراح ذلك الواحـد بعد طول عذاب وأخذ يتحدث عن بركات الأعوان .. فما بالك بالسيد ؟!

لم يكن ذلك الولد الأسد راضيًا عن ذلك .. وما دام هو لا يحب الحـياة ويحب الموت، فلا شيء يمنعه من الانتقام لكرامتنا كلنا .. وفى يوم مشهود، رأى الناس جميعًا .. فى مدينتنا وفى تلك البلاد الـتى كانت مجهولة ذلك الولد يضرب ذلك الوحش على قفاه بكلتا يديه ..

٣- النهاية :

هـل هذا الذى حدث كان متوقعًا ؟ ربما نعم وربما لا .. ولكن هذا الولد صار تهمة وسبة لكل من يعرفه .. صار الجميع يتبرءون منه ويعلنون أنه ليس ابنًا لمدينتنا .. ويعلنون أن هذا الوحش ليس وحشـا وإنمـا هـو ملاك رحيم آصل منا .. وصار ذلك الواحد، صاحب الدمل الذى حدثتكم عنه مثالاً يحتذى .. وذلك الولد الأسد يبكى .

جنازة حارّة لقارة

د. سمير شوقى سليمان
الجيزة ـ بولاق الدكرور

هو قرر أن يموت ! لا أحد يعرف كيف سيتم ذلك ! بالسيف ؟ ممكن .. بالديناميت ؟ جائز .. بالمدفع ؟ محتمل ..

لا أحد يستطيع مناقشته .. قرر وانتهى الأمر .. بل وحدد يوم الجمعة القادم موعدًا لهذا .. وقد صار فجأة حديث وسائل الإعلام فى العالم كله بسبب صدفة مجنونة لا تحدث إلا واحدة فى المليون : مرور مخرج تلفزيونى يبحث عن موضوع ، انحرفت نظارته الطبية فجأة جهة اليمين فاصطادت بؤرتها " عبده الرايق " وهو يلطم ويمزق " جلابيته " ويهدد بالانتحار ! فكان ماكان !

عبده الرايق .. رمز الفرفشة .. كيف مات فجأة " إكلينيكيًا " ؟ كيف تحول من فم هائل يتأرجح ساخرًا من الزمن إلى كتلة لحم تسير بيننا بلا حس ولا إرادة فى الحياة، مجرد جسم يحمل مجموعة خراطيم للتنفس والهضم والإخراج تعمل دون إذن منه ؟

كيف مارس فى غفلة منا شيئًا كنا نمارسه فى غفلة منه .. بل حتى من أنفسنا : حياة اللاموت واللاحياة ؟

فى إفريقيا نصف مليار عبده الرايق على الأقل ينتشرون ما بين قمم الجبال ومنابع الأنهار والمدن يمارسون فيها " حياة اللاموت واللا حياة " دون أن تفصح أسماؤهم عن هويتهم " الرايق " .. عدد بسيط جدًّا منهم الذى يحمل اسم عبده الرايق صراحة .. فالرايق

لـــيس اســـمًا لشخص وإنما كلمة تعنى الانتماء إلى أسلوب ساخر للتكيف مع الحياة .

إذا كـــان الأمـــر كذلك، فما الذى ميز شخصًا واحدًا هو رايق حارتنا عن الباقين ؟ لماذا ظهر فى التلفزيون ونحن لا ؟

لحظـــة ! مجرد لحظة .. كانت السبب .. تذكـــرَ خلالها رايق حـــارة السكر والليمون بمصر القديمة ـــــ بعد أن خلت شقته مما يمكـــن بـــيعه ســـدادًا للديون ـــــ أنه مايزال يمتلك فى هذا الكون مبلغيـــن أودعهمـــا عند عمه : واحدًا لحجه، والآخر " لجنازته "، فصـــارح زوجته بأنه ينوى سحب المبلغ المخصص لحجه، ردت علـــيه " صابرة " : بس اوعى والنبى تتصرف فى حق " الكفن "، لأننا فى الظروف دى مش حا نعرف نعوضه .

لفظ " الكفن " هو الذى جعل الفكرة المجنونة تومض فى مخه : إن لديـــه الآن فرصـــة ثمينة للموت ستظل قائمة ما دام هو يمتلك إمكانياته : " ثمن الكفن " .. لكنه إن تلكأ فقد ترتفع الأسعار فتضيع منه كما ضاعت منه فرص الحياة .

هـــو رجل محترم .. والدنيا مقهى ، الجلوس عليه بالمشروب، ومادام هو الآن لا يملك ثمنه فمن الأكرم له أن ينسحب من الباب بهـــدوء قـــبل أن يقذف به الجرسونات إلى الشارع، لهذا قرر أن يضـــع الـــنقط فوق الحروف، أن يحول موته المبهم، المدهون فى غش من الخارج بمظاهر الحياة الرمادية الخداعة إلى موت حقيقى صـــريح . لأن " الـــرايق " تمـــرد على اللون الرمادى " الخرع " وانحاز إلى اللون الأسود الذى هو صعيدى مثله : جدع وواضح، فقد استحق أن يظهر فى التلفزيون ونحن لا ..

الســـيف .. الســـم .. المدفع .. لم يقتلوه .. إنما مفردات الدنيا الجديـــدة الـــتىعجز عـــن فهمهـــا، ولم يتكيف معها، فأتت تدهمه كالقطـــار: الإنترنت .. العولمة .. العالم الثالث .. " الواد السريح

الــذى جعــل الـــناس ينفضون عن دكانه ويتكأكئون حوله لشراء بضـــائعه الشرق آسيوية الرخيصة .. إحساسه المهيمن بأن هناك تغيرًا هائلاً يجرى فى الكون لم يُخطَرْ به، رغم أنه طرف أساسى فيه، لكن لأنه الطرف " الغلبان البصمجى " لم يهتم أحد بالحصول على توقيعه .

كلها نصال تجمعت وضربته ضربة رجل واحد، فتفر دمه بين القـبائل وصـــار مستحيلاً معرفة المسئول عن دفع ديته، وإن ردَّ التشخيص المبدئى الخدّاع للوفاة: " موتًا بالسكتة الضرائبية الحادة " ! فحين وصله حجز الضرائب ذلك الصباح وحدد المُحْضر موعد بـــيع دكانـــه وإشهار إفلاسه، شعر بأن عمره أيضا قد أفلس، وأن رصـــيده من الدقائق والثوانى قد صار صفرًا، فانطلق يعدو وسط الحارة وهو يعوى عواء غير بشرى كالذى يصدر عن حيوان ثديى عجـــوز كسيح تفجع حين ذبحوا أمامه فلذة كبده، ابنه الوحيد الذى يعوله، دكانه !

حدث هذا فى نفس اللحظة التى كان فيها المخرج الشهير يحك بحذائه الأسفلت فى ضيق وهو يزفر ويسب عالمنا الممل الذى خلا فجـــأة مـــن أى موضـــوع مثير يصلح مادة لبرنامجه " لقطة على الهـــواء "، لدرجـــة أنه كان مضطرًا للذهاب إلى ميدان عمرو بن العاص لتصوير برنامج روتينى سخيف قريبًا منه، وبينما هو يعبر حارة " السكر والليمون " فى طريقه إلى الميدان، لمح عبده الرايق وهـــو يلطـــم ويمزق " جلابيته " ويصرخ مهددا بأنه قد حدد يوم الجمعـــة القـــادم موعدًا لموته، فالتقط الخيط فى ذكاء شديد ووجَّه "الكاميرا" نحوه، ثم أجرى معه حوارًا على الهواء وعد المشاهدين فـــى نهايـــته أن يقـــدم لهم يوم الجمعة القادم لقطة ساخنة طازجة للحظة موت عبده الرايق، تسيل لعابهم الذى يسيل بشدة كلما رأوا مصارع ثيران يغرس سيفه فى عنق الثور، وإن كان الرايق سيقوم

هــذه المــرة بــدور الـــثور والمصارع معًا .. وفى انتظار اليوم الموعود أخذ يجرى معه تسجيلات يومية على الهواء عن ترتيبات جـــنازته، واحـــدًا مع الحانوتى، وآخر فى " القرافة " مع التربى، وثالـــثًا فى محل " الفراشة "، واستلقى المشاهدون على قفاهم وهم يشـــاهدونه " يفاصلهم " طالبًا خصمًا مقابل ظهورهم المجانى معه فى التلفزيون .

جذبـــت طـــرافة الموضـــوع ، وشذوذه الممتع محاورًا ومعلقًا شـــهيرًا، فاستضافه فى برنامجه الأسبوعى المعروف، لكنه فوجئ بعـــد بـــث البرنامج بأن ما ظنه حادثًا فرديًا، كان ظاهرة جماعية عمـــيقة المغـــزى، وأن الـــرايق كان الجزء الطافى من جبل جليد عمـــلاق يمتد تحت سطح إفريقيا كلها، فبعد إذاعة البرنامج، انهال علـــى مبـــنى التلفزيون وبريد الأهرام، ما يقرب من نصف مليار برقـــية .. تعنى نصف مليار حالة .. كتبها نصف مليار شخص، كلهـــم يشـــكون من نفس حالة " اللا موت واللا حياة " التى يعانى مـــنها عـــبده الـــرايق، ويقولون إنهم متشوقون الآن لمعرفة نتيجة تجربـــته يوم الجمعة القادم، إذ فى حالة نجاحها سيقومون بتعميمها على نطاق واسع !!

عـــبده الـــرايق الآن رجل الساعة، بطل رغم أنفه، ليس على مســـتوى دولة وإنما على مستوى قارة، فقد كانت البرقيات صادرة مـــن كافة المدن الإفريقية بلا استثناء، وكان معنى أن يحذو نصف الملـــيار إفـــريقى حـــذوه ، أن تخلو إفريقيا من الحياة الإنسانية، وتُعلـــــن قـــارة مـــنزوعة البشـــر، كان واضحًا أن الأزمة تتمدد والمشكلة تتفاقم.

قـــال طبيب نفسى شهير بالنص : إن الرايق سيوقع دار الإفتاء فى أحرج مأزق عرفته منذ إنشائها، فنظرا لتدينه الشديد أعتقد أنه لـــن يمـــوت بأى من الأسلحة المعروفة لدينا وإنما سيلجأ لأسلوب

مبـتكر أخمنه الآن مقدمًا : فيوم الجمعة القادم ، عندما يجلس في سـرادق عـزائه مـتخذا الوضع " الأوزوريسى " للموت، وبينما عدسات التليفزيون مصوبة إليه، سيضع أمامه كومة من إيصالات الـنور والمـياه ومطالبات المدارس بالمصروفات التى عجز عن دفعهـا ، وورقة حجز الضرائب ، وفوق هذا كله قصاصة مكتوبًا فيها رقم العجز الحسابى المذهل بين دخله والمطلوب منه ، وبعدما يتمعن فيها ويستوعبها جيدًا، أعتقد أن تنفسه سيتوقف وقلبه سيكف عن الخفقان، وسيكون من الصعب تحديد ما إذا كان ما حدث موتًا طبيعيًا لا يحاسب عليه أم حادث انتحار يدخله النار .

قـبل أن ينـتهى العـالم النفسـى من حديثه، قطع مذيع القناة الإرسال، وذكرأن هناك اجتماعًا مشتركًا قد بدأ فى تلك اللحظة بين مجموعـة عيـنة من دول الجات وصندوق الدين الدولى لمناقشة مشكلة عبده الرايق .

بعـد سـاعتين قطع الإرسال مرة أخرى واحتل الشاشة رئيس المؤتمـر بقميصه المشجر ووجهه السمين المحمر، وكان ينفخ فى غيظ وهو يتلو بالإنجليزية بيان المؤتمر على الهواء .

أنـا لا أجـيد الـترجمة الفورية، لكنى فهمت الأمر على نحو تقريبى، فى البداية شجب البيان المخطط الإرهابى الذى يزمع عبده الـرايق تنفيذه يوم الجمعة القادم، ثم ذكر شيئًا عن ارتباط عضوى موجـود بيـن الحياة غير الطبيعية للمواطن الإفريقى عبده الرايق وبيـن الحياة الطبيعية لمواطنى دول المجموعة، ثم بين دكان عبده وبين المصنع الهائل الذى تقوم " الجات " بإنشائه الآن .

أبـرز الرئـيس السمين أمامنا إيصالات أمانة ممهورة بإمضاء الـرايق بالإنجلـيزية، أعـتقد أنهـا مزورة، لأن عبده لا يعرف الإنجليزية، خبط بقبضة يده على المنضدة صارخًا بأنه لاموت إلا بعـد سداد الديون، ثم قال إنه غير مسموح لعبده الرايق أو لغيره

بـــالموت إلا بعد الحصول على تصريح كتابى مسبق من الجات، فاحتقـــن وجهه وهو يهدد الرايق وكل رايق يحذو حذوه بالويل، ثم تـــناثرت مـــن فمـــه عبارات مبهمة عن بوارج حربية ستتحرك، وعقوبات اقتصادية ستوقع !!

وفجـــأة وبدبلوماســية شـــديدة تلاشت من صوته رنة التهديد، وتهدجـــت نبراته فى رقة وهو يتحدث عن حبه الشديد لعبده وعن أملـــه فى أن يعدل عن قراره، وختم الحديث بقبلة عاطفية حارة، أرسلها له على الهواء كادت أن تحرق الشاشة .

أنـــا لم أقابل بعد عبده الرايق، لذلك لا أعرف تأثير البيان عليه وهـــل ســيأخذ إجـــازة مـــن الجنازة أم لا ؟ فهو فى هذه اللحظة "مشـــغول" باســـتقبال وفـــود دولية كثيرة، نصفها جاء يحفزه على الصـــمود فـــى وجه الضغوط العالمية، والنصف الآخر يطلب منه المرونة .

لكـــنى واثـــق مـــن شـــىء واحد .. أنه على كل رايق فى هذا الكـــون، أن يرســـل الآن إلى عبده برقية تعينه على اتخاذ قراره، وهل يكتفى يوم الجمعة القادم بالانتحار فى القاهرة وحدها أم عليه أن يمـــوت فى عدة عواصم عالمية فى نفس التوقيت ؟! هل ينتحر مـــرة واحـــدة ويتوقف ؟ أم يوزع انتحاراته على عشرات السنين القادمـــة بالتساوى، بحيث يتفتت عنه كل مرة جزء من " لا موته ولا حياته "، ويتساقط عنه بعض من التعتيم الإعلامى حوله ؟!

وإذا نجح فى تأكيد حقه فى الموت بتكرار ممارسته أمام العالم، هل هناك خطوة تالية ؟!

نعم أنا واثق من أنه يجب أن ترسل له هذه البرقيات حالاً، حتى تعينه على تحديد موقفه المصيرى قبل يوم الجمعة القادم .. نعم .. فورًا .. وعلى وجه السرعة .. حيث إن هذا عاجل ومهم جدًّا !!!

رأس صغير يطل من نافذة ضيقة

محمد إسماعيل الأقطش

بور سعيد

بالآونـــة الأخـــيرة صرت أهذى كثيرًا، وأتوهم أشياء عديدة لا وجود لها، هكذا تؤكد زوجتى لكل من يسألها عنى، مضيفة أنها لم تعد قادرة على الاستمرارمعى وأنا على هذه الحال .

أنا أيضًا لم أعد أستطيع التحمل أكثر من هذا، إنها تشتكى منى كثــيرًا ، تشتكى للجميع، تشتكى دون ملل وبشكل فظيع صرت لا أحتمله، ولأجل أشياء تافهة .. تصورْ !

لذلـــك .. فإننى أتركها ــ كلما بدأت تصيح ــ وأتساند بمرفقى علـــى إفريز النافذة محدقًا فى الميدان ؛ محاولاً نسيانها، والحجرة ضـــيقة تمامًـــا .. أنت تعلم أن حجرتى بها نافذة وحيدة تطل على الميدان وجنديه الذى يقف شاهرًا بندقيته ومتحفزًا أبدًا للانطلاق .

ظللت ــ طوال فترة ليست بالقصيرة ــ أتابع شخصًا يضع فى كل يوم قطعة من الخردة ويثبتها بأخرى، وهكذا .. حتى انتهى من صنع الجندى على هيئته هذه . أتعلمُ أن ذلك الأحمق جمع أجزاءه من قطع حقيقية لأسلحة ومهمات عسكرية شاركت بالمعركة ليدلل بـــه علـــى صمود المدينة ؟! تـــخيَّلْ إذن جنديًا من الخردة يشهر بندقيته فى وجهنا صباح مساء .. أى جمال فى هذا ؟

كـــان المـــيدان أجمل كثيرًا . تذكر ذلك بالطبـــع. رقصنا يومًا كاملاً فى ساحته ، تحلقتم جميعكم حولى وغنيتم ، كنـــت أرقـــص

وأقع، تضحكون عليّ فأقوم لأرقص من جديد على رجلى الوحيدة .. كـــنا فرحين باستعادتنا بيوتنا وشوارعنا وميداننا .. وبامتلاكنا قصصًـــا لا تنـــتهى عما حدث .. نستطيع حكايتها لأولادنا عندما يكـــبرون، نحكى لهم عن نهارات عديدة لم تكف خلالها الطائرات عـــن اقتحام نوافذنا والتحليق فى سماء حجراتنا وقصف أحلامنا، عـــن مســـاءات طويلة أسدلوا فيها عتمتهم على كل شيء وأخلوا شـــوارعنا وميدانـــنا من خطونا . كنت أرقص لأجل هذا، ولأجل أشياء أخرى كثيرة لم أعد أذكرها جيدًا .

أقسم أننى لم أعرف بما سيفعلونه بعد ذلك، لم أتصور أبدًا أنهم سيضـــعون هنا تمثالاً من الخردة، أستطيع رؤيته بكل وضوح من نافذة حجرتى .

وكلما نظرت من النافذة استفزنى الجندى بمنظره هذا، يقفز إلى ذاكـــرتى محـــاولاً احتلالها بعدما أزحتُ زوجتى والحجرة منها، أقاومـــه متجاهلاً وجوده، أراقب الميدان وهو يتحرك، يسرى فى شـــرايينه أناس لا يعرفوننى، ولا ينتبهون لرأس صغير يطل من نـــافذة ضيقة، أرقب ميلاد الظل بالصباح وموته بالمساء، بالمساء يمـــوت كـــل شيء ولا يبقى سواه، لا ظل إلا ظله، كأنما هو إله الميدان وحارسه .

حدثنى بصراحة : هل تستطيع النوم تاركًا مسخًا كهذا مستيقظًا وحـــده، وتموت مثلما يموت كل شيء بالمساء ؟ أنا لا أريد النوم، ولا أستطيع إغماض جفنىّ .

أعـــرف أناساً كثيرًا ناموا، وفى الصباح لم يكونوا هنا. أصدقك القول : كلما فكرت فى أمر كهذا شعرت بدوار عنيف كأننى أموت بـــالفعل. أعلـــم أننى سأموت حتماً، أنت أيضاً ستموت، ربما بعد قليل، لكننى لا أريد الموت وأنا نائم، لا أريد أن أغمض جفنى ولا أفتحه بعد ذلك، أخشى أن أموت فى العتمة، أريد أن أموت وعيناى

مفتوحتان، أريد أن أراه، لا أريده مباغتًا ولا ناعمًا متسللاً .. أريده وجها لوجه .

ألـــيس هذا شأنى ؟ ما شأنها إذن إن كنت أنام أم لا ؟! إن كنت أغمض جفنى أم لا ؟ لماذا تصرخ دائما وتشتكى ؟! صدقنى ، هى لا تخشـــى علىّ، بل على نفسها، هى تريد عندما تموت أن يكون هناك شخص ما جالس بجوارها منتظر أن تفتح عينيها، أما أنا فلا أريـــد ذلـــك، لأننى سأكون هنا مفتّحًا عينى .. أجل هذا ما يجعلها تولول دائمًا .

بالأمس أيضا فعلَتْ ذلك، عندما حملونى إليها بملابسى الممزقة المبـــتلة، وبجـــروحى التى ينز منها الدم بلا توقف، قلت لها إنهم عـــادوا من جديد، كان لابد أن أكون بالميدان مثلما كنت فى المرة السابقة، لكنها لم تصدقنى ولن تستوعب ما حدث جيدًا .

أعلـــم أنك ستتفهم ما حدث، لأننى عندما رأيت الميدان يزدحم بالناس واللافتات والصياح، وشاهدت الجنود يحتشدون فيه؛ تناولت عكازى وألقيت بنفسى فى زحامهم، صحت معهم وغنيت ، تقافزت بـــرجلى ورقصـــت، تركـــت جســـدى يتحرك معهم فى اندفاعهم وتراجعهم، اندلعنا حريقا فى الميدان، حتى إذا اشتعلنا تمامًا فاجئونا بخراطيم المياه، ثم اندفعوا نحونا بعصيهم وقنابل الدخان، سياراتهم المدرعـــة أخـــذت تسير متعرجة بيننا .. جرى الكل، بينما سقطت لتدهسنى أقدامهم وتكسر عكازى .

بالمظاهـــرة الأخيرة تلك .. عندما انقشعت سحب الدخان وهدأ كـــل شـــىء، بدا الميدان كلوحة كبيرة لحزن فوضوى وانكسارات شـــتى . كنـــت ممـــددًا على الأرض يحاولون حملى، بينما امرأة تولول.

سقوط التمثال

ياسر علي عبد العليم
ديرب نجم ـ الشرقية

كان يظن أنه بمفرده ..

الليل يتسرب في أوردة الشوارع

يسحب نفسًا عميقًا يكتمه في صدره، يضغط عليها بالسبابة والوسطى ويقذفها في الهواء، الدخان يتلاشى، يرسم أشكالا وهمية ووجوهًا لا ملامح لها، المشهد الختامي في المسرحية يتدلل عليه، وهي في مكانها الهادئ خلف إطارها الزجاجي تمصمص شفتيها، وتلوى عنقها فيتوارى بريق العينين الفيروزيتين، على رغم منها يُسْمعها ما كتب، ربما إعادته تساعده في تحديد النهاية .

(التمثال ذو التاج المسنون حمل شعلة النور، يبدد مساحات مظلمة في العالم الثاني والثالث، ناظرًا إلى النهر الضيق والمباني العالية، تفوح من الحمام القريب رائحة الديمقراطية وحرية الأفراد، تحت قاعدة التمثال الرخامية العريضة كان النمروذ والحجاج والرجل سداسي الملامح يحاولون إحداث شرخ في قاعدة التمثال، ينظر إليهم حامل الشعلة في سخرية ويعلق نظره في المباني العالية) .

المذياع يكرر هراءه عن نجاح الانتخابات، وضرورة قيام دولة فلسطينية، أعطاه بقدمه ركلة قوية ظل يتوجع على أثرها وتقطعت كل الموجات ثم سكت .

رشف قطرات القهوة المرة، أشعل سيجارة أخرى ..

نظـــراتها الزجاجـــية تستنكر انشغاله عنها، لا تريد أن تفهم أن راتـــبها الضـــئيل وراتـــبه كمـــدرس عـــربى بينه وبين الدروس الخصوصـــية مصانع الحداد، لا يكفيان لبناء عش العصفورة الذى تتحدث عنه المطربة المشهورة، يتظاهر بعدم سماعه لها .

(عند ساحة التمثال، كان السفاحون وخلفهم كل الكلاب منزوعة الأنـــياب تواصل عملها، على مرمى السمع كان دبيب حوافر يرج الأرض وغـــبار يسد الأفق، ويصل الفارس الرجل القديم صاحب القـــبعة الصـــفراء الشهيرة، يترجل عن فرسه الأدهم، يطوح حبله الغلـــيظ فى الهواء ويشعل سيجارة " المارلبورو " فى إحدى زوايا فمه، تمامًا كما يأتى فى صحفنا القومية، يُخرج من بنطاله الضيق طيورًا سوداء يطيرّها فى الفراغ، ترك السفاحون معاولهم وتابعوا الطـــيور السوداء التى تعملقت وأصبحت أبابيل تدمر كل البنايات العالية، وهنا فقط ترتعش يد التمثال، يحاول أن يحكم قبضته على شعلة النور، لكن قوة غامضة تفرق بين أصابعه، ترتخى قبضته، تســـقط الشعلة فى النهر الصغير، يتلاشى كل السفاحين، ويبقى ذو القبعة الصفراء الشهيرة يقهقه فى الهواء، بينما تلمع عينا النتن فى خبـــث، وَهـــنا فقط كانت الشروخ قد استعمرت جسد التمثال الذى أحـــنى رأسه العالى وهو يشاهد ألسنة النار والدخان تخنق السماء ... ثم سقط)

أســـقط القلـــم من يده، طوح ذراعيه فى الهواء، يسقط البرواز الـــزجاجى بداخله تصرخ مدرسة الرسم، فركها بقدميه وهو يتجه إلـــى الحمـــام الـــذى ماتزال تفوح منه رائحة الديمقراطية وحرية الأفراد .

بعض ما يعرفه الجميع

أميمة عبد الشافى محمد
الإسكندرية

تلــك الدبدبات الرقيقة .. التى قد تجعلك تبتسم فى نشوة مديرًا وجهــك إلــى الجهة الأخرى .. لكى لا تصل ومضات ابتساماتك المتكررة إليهما .. وتقطع ذلك الصفاء المجدول بكذب جميل بينهما .. تلــك الخبرات التى تعرفها جيدًا وتفقد فقط طعمها الممتع خلال جولاتــك الحياتــية .. هــى ما ستسمعه إذا ما بدأت فى استخدام طريقــتى الخاصة فى تتبع الفصول الأولى من قصص الكورنيش المذهلة ..

كــبداية .. فلتتبع فتى لايمسك بيد فتاة تسير إلى جواره .. ولا تــنسَ النهاية .. وعندما يختاران الجلوس فى أى مكان على سور الــبحر .. أو أيــة حديقة لها سور يصلح لتبادل حديث مؤقت .. فلــتجلس .. ولتــنظر فــى ساعتك كدليل انتظارك أحدًا ما .. ولا تشغل بالك بميعاد قدومه .

هــذه الادعاءات غير المنطقية لازمة عند البداية .. فلا تحاول فرض عقلك الواعى عليها .. فليس خطأ فاحشًا أن يدعى أنه كان يحب أخرى بجنون .. وأن خيانتها له كانت صدمة .. ليس كذبا أن يقــول إنــه يشــعر لأول مرة بحب حقيقى .. أو برغبة لذيذة فى التسرع .. هو الذى علمته الخديعة معنى التأنى .

دعها تسعد بكلماته عنها .. وتستند على حبيبته الأولى كخلاص

سريع عندما تتهمه ـ يومًا ما ـ بأنه يعاملها كامتداد لأخرى .. هذا طبعا لو لم يسبقها بأنها تماما مثلها .. مثلهن .. جميعًا .

استمع بهدوء .. ابتسم بهدوء .. وعندما يبدأ قلبك في دبدباته الرقيقة .. ابحث عني على سور البحر .. تعرف طبعًا كيف تجدني .. وعندما تسير إلى جوارى .. تذكر جيدًا ألا تحاول الإمساك بيدى في المرة الأولى .

من خلال ثقب لا يسع غير حدقة واحدة

عاطف عطيت الله محمد
دشنا ـ قنا

كجثة بلا مشيع واحد، أو كشيء منسى كان، أو ملقًى فى غير مبالاة، تتمدد ملتفا بالبطانية كثيرة الثقوب، لايفصلك عن تراب الأرض سوى قطعة حصير مهترئة، ومن خلال ثقب لا يسع غير حدقة واحدة، تنظر إليها . ستجلس كقطعة من سواد الليل المتكاثف، بعينين مرهقتين قد محت بريقهما الأيام بقسوتها، وأصابع يابسة ككعاب البوص المنشور فى الشمس منذ لا زمان، وقت أن تفردها، وتثنيها مطبقة على مخرازها، وخيوطها متعددة الألوان .

وقتما يدبر الليل تزحف الشمس فوق السقف القديم المتهالك، وعبر ثقوبه مختلفة الحجوم، تنفذ خيوطها كأسطوانات ضوئية لامعة، بداخلها ذرات غاية فى الدقة لا تكف عن الحراك، والدوران . لن تنهض، ستظل متمددًا ، كمن فارقته الروح . ستناديك . وتظل صامتًا ، فتهرع إليك، تسألك إذا ما كنت تشكو من شيء، خوفها عليك سيجعلها لا تمل السؤال غير أنك ـ كعادتك ـ لن تحرك ساكنًا . سيزداد إلحاحها، وتود أن تزيح غطاءك بثقوبه، أو تكشف عن وجهك، سوف تقول : لا.

من خلال ثقب لا يسع غير حدقة واحدة، تنظر إليها . ستبيت الليل كله ـ كما تقضى نهارها ـ منكفئةعلى طرحتها، وخيوطها،

ومخرازها الذى لا يفارق راحتها إلا حين تُريحُه فوق طرحتها، أو تغرســه فى شق الحائط، لتقضم فى كسرتها الخالية إلا من حبات الملح، التى اعتادت الألسنة حُرقتها، تصارع البرد الذى ينخر فى العظام الممصوصة النخاع .

من أجلها تتناهشك الآلام لكنك لا تضج أو تتأوه كى لا تسألك، ويظل جوابك صمتًا طويلاً قد تقطعه " لا " وليدة مخاض إلحاحها .

فــى خلدك دائمًا تدور نفس الكلمات : ما أعظمها تلك الأوقات الــتى لا تجلــب فــيها الكلمات نفعًا، ولا تدرأ ضرًا مهما نوعت، وكانــت منتقاة، وكيف يكون للكلمات نفع، وقد باتت عاجزة .. ؟! عاجــزة عن مجرد المواساة، والعزاء حتى ! ولا تملك أن تستأخر ولــو لحظــات قلــيلة من عمر أمل شوهته الأيام، وهاهو ذا يلفظ أنفاسه الأخيرة !

تعــرف أن الصمت لا يأتى ــ أبدًا ــ إلا بخوفها ولهفتها لحظة تــريد مــنك الكلام، لكنك تؤثره على أية كلمات لن تغير حالاً، أو تغنى عن حاجة .

من خلال ثقب لا يسع غير حدقة واحدة ، تنظر إليها. ستسمعها وهــى تلــوم الزمان، وتعتب على الدنيا التى لا تدوم على حال، وكحالها دائمًا تتقوى على الأيام بكــلــها، وبغدٍ طال انتظاره . من أجلها تعتصرك الآلام، لكنك لا تئن، أو تتوجع، ولو بآهة مسموعة، لا تــتململ حتى، فقط تلوذ بخرسك غير أن دموعك لا تقوى على صدها جفون من الفولاذ .

سوف تأتى بيدها السمينة البيضاء، وكيسها المنتفخ، تنحنى على أمــك، فــترتفع مؤخرتها الضخمة، رغمًا عنك تحتضنها عيناك . ستقول وهى تضعهم فى حجرها : " أنا هابسطك على دول قوى ". ســترجو عيناك أصابعها أن تعجل بفك ربطة منديلها . لن تشكو أثــر الــثقل الذى خلفه جوال الدقيق فوق كتفك النحيلة بعد ذلك .

ستقول أمك : " والنبى ما كان ليه لزوم، دى مستورة، وهو معاه كتير " . ثم تربت هى بيدها السمينة على كتفها ،وتقول : " والنبى أنا عاملاه أخوهم التالت " . ستدعو – فى نفسك – لأن تتصرف مسرعة لترى ما بداخل كيسها فى تلك المرة . حينما تتمدد، ولا تنظر من خلال الثقب الذى لا يسع غير حدقة واحدة، تتقافز مؤخرتها، ويدها السمينة إلى مخيلتك، تنظر إلى أمك، فتسب الزمن، وضنك العيش الذى أنحفها، وأبرز عروقها . ستنظر إلى الكيس المنتفخ الراقد فى حجر أمك، الذى يختلف لونه مرة عن أخرى، وستطفو إلى سطح ذاكرتك صور شاحبة : ذلك الرجل، وخطابه اليتيم الذى أصابه الاصفرار، والذبول، وسطره الذى يذكرك فيه:" نعرفكم.. لازم يشد حيله.. إوعى يسيب المدرسة.. "، ووجه أمك، وهو يتقلص، وينبسط، ودموعها ونشيجها الساكن أذنيك، وهى تشاركه حزم حقائبه .

وطفولتك التى دفعتك لأن تقول :" واشمعنى هما فلوسهم كتيرة يعنى .. ؟! " ليحملك بيديه الكبيرتين – آنذاك – وهو يقول : " بكرة تكبر، و تعرف ." ..

من خلال ثقب لا يسع غير حدقة واحدة ، تنظر إليها. متداخلة، ستتكور فى نفس مكانها، بينما البرد يخترق الجدران، ينفذ إلى الأجسام، يلسعها، يرجها رجاً، لكنها أبداً لن تنام . لن تنسى اليوم الذى تخيلت فيه أنَّ ترددها بكيسها المنتفخ – دائماً – و يدها السمينة البيضاء إلى أمك، إنما كان لأنها تخطب ودك من أجل "سعاد" . أخذتك أحلامك بعيداً عن واقعك المرير حينذاك، لكن رجاء أمك – الذى يشتد مرة عن أخرى – لها بألا تكلف نفسها فخيرها عليكم كثير، سرعان ما أعادك . ستدرك أنها أبداً لن تخطب ودك من أجل " سعاد " وستهاب مجرد التفكير .

من خلال ثقب لا يسع غير حدقة واحدة ، تنظر إليها، على

مقــربة منك ستجلس كآلة، معلنة تمردها، وعصيانهــا لسلطـــان الليـــل ، وجبروت شتائه، لن يمس لها جفنٌ آخرَ أبداً .

أنينها الذى لا ينقطع سيذكرك بذلك الأنين الذى تصدره " شحاتة الشـــارع " وقـــت أن تجلس إلى جانبها وتشكو، دائماً ــ ودون أن يســـألها أحد ــ تقول بأنها كرهت الشارع، والناس، ولسوف يأتى اليوم الذى قد لا تكتفى فيه بترك الشارع بل ستغادر البلدة كلها بلا رجعـــة، إذ كـــيف تـــبقى وأمثالها ــ فى البلاد المجاورة ــ تعبأ "شوالاتهم" حتى "حلوقها" وقبيل الظهيرة ! ذلك غير ما يأخذونه من نقود .

مـــن خلال ثقب لا يسع غير حدقة واحدة تنظر إليها . ستراها وهى تعدل من جلستها . ستفرد ذراعيها، فتصل إلى أذنيك طقطقة عظامهـــا . ســـتراها جالسة . هذه الجلسة التى تجعلها تستند إلى الحائط حين تهم بالنهوض، أو السير حتى ينزاح خدر قدميها .

حيـــنما تنظر إليها، وهى ترفع وجهها إلى صفحة السماء تتخيل أنهـــا تســـتمد طاقـــة بصرها من تلك النجوم التى ترتعش، وكأنها تخشـــى شيئاً ما، ستتمنى ذلك اليوم الذى تريحها فيه، سترجو من الأيـــام أن تخفف من قسوتها، ومن القدر أن يعفو قليلاً، وأن يهبك مـــا تقدر أن تعيد به إليها بريق عينيها، واستقامة ظهرها، ونعومة يديها، وأن تعيد إليها كل ما سلبه الزمان، وانتزعته الأيام، ستكره الدنيا التى لا تقبل لك توسلاً، أو رجاء، ستدرك أن الشيء الوحيد الذى أعطتك إياه الدنيا أن تعجب، وتدهش كيفما يحلو لك دون أن يغير ذلك من الأمر شيئاً !

من خلال ثقب لايسع غير حدقة واحدة ، تنظر إليها . لكنك أبدا لن تجدها، ستتأمل مكانها، لكنها أبدًا لن تكون موجودة، لن يكفيك عـــندها مجرد النظر من خلال ذلك الثقب، ستقذف بغطائك بعيدًا، وتهـــب واقفـــا، ســـتهرول إلـــى مكانها، وتجثو، فيلمع المخراز

المغـــروس بشق الحائط ــ منذ تركته أمام عينيك ــ تشده وتقربه من عينيك، ثم تقبله، وتضمه إليك بعدما تمسح دمعة ساخنة تشبثت بطـــرفه، ستقول فى نفسك : إن الدنيا أبدًا لن تكون أرحم بك مما كانت !

عـــندما تفـــتح الباب، وتبرز برأسها، لن تئن، أو تشكو ــ كما عهدتهـــا حيـــن تجلس إلى جانب أمك ــ سوف تتأمل مكانها قليلاً فتتســـاءل أنـــت عما جعلها تبقى حتى الآن، وحين يختفى رأسها، يتـــناهى إلـــيك أنين الباب، وهو يعود مغلقاً . ستتحول آلامك إلى آهـــات مسموعة، ودموع تمتزج بتراب الأرض، لن تهتم بغطائك الـــذى قذفت به بعيدًا ليحتضنه التراب، سترتمى متمددًا، وبصرك معلـــق بمكانها، سيكون من الصعب عليك أن تحول بصرك بعيدًا عنه، ستسمع صوتك يقول :

" مـــا أكـــثرها تلك الأشياء التى نريدها فى الحياة، ولا نحصل عليها ! "

ويهبط ظلام بغير ليل ...

إضاءة مبهرة

محمد صلاح العزب
مدينة السلام - القاهرة

يجلسـنى على كرسى دائرى صغير بدون مسند، بظهره يرجع خطوتيـن واسـعتين، يتأملنى، يتقدم إلىّ، بكلتا يديه يدير جسمى المستسـلم له جهة، ووجهى فى الجهة الأخرى مواجهًا بؤبؤ العدسة تماماً .

تعثرت فى الخارج بحجر كبير، اتسخ كم قميصى الأبيض ..
يضع إصبعين لزجين تحت ذقنى .. يرفع وجهى ببرود ..
أول واحـد من الفصل سيحمل بطاقة بعدى، أمامه شهر كامل، سـينبهرون بشدة عندما يقف النسر الأزرق لا مباليا فى مواجهتهم فوق الأوراق الصفراء .

دون أن يلحظـنى أحرص على وضع يدى الأخرى فوق كمى المتسخ !

قبلنى أبى وهو يضحك:
يا للا ياعم هيحسبوك نفر على الدولة . بنفسه كوى لى القميص الأبيض، أعطانى ربطة عنقه الزرقاء الجديدة مصرًا على أن ألمع الحذاء الذى لن يظهر ــ بالطبع ــ فى الصورة.

ــ أصـل الـبطاقة دى هتفضل معاك لحد ماتتجوز ولما تكون الجزمة بتلمع .. تلاقى وشك يطلع منوّر فى الصورة

ضـحكت أمى وأختى، وهو يأتى لينزل يدى من فوق الأخرى مبتسما ابتسامة بلاستيكية .قالت أختى وهى تربط لى رقبتى :
ــ خد لك لحسة من الكريم بتاعى وسرح شعرك لفوق .

صاحت أمى : لأ ، لفوق إيه ؟ بلاش خيبة دى صور البطاقة .. يفرقه من على الجنب أحسن

يعود إلى مرة أخرى، أخفى أبى فرحته خلف حافة الجريدة التى يمسك بها، يعيد جسمى إلى وضعه الأول المعوج بزاويته المرهقة، رقبتى تؤلمنى ..

ــ يا أخى اعدل نفسك بقه .. ما تقرفنيش

" فرح " لم تهتم كثيرًا بكل هذا، ربما لأنها لم تر البطاقة بعينيها، لكنها ألحت على أن أعطيها صورة، بمجرد أن أتسلم الصور، وأن أكتب على ظهرها إهداء حتى تفرجها لصاحباتها

ينحنى خلف الكاميرا، يده تعبث فى مفاتيح الإضاءة، عينه الظاهرة مغمضة .

البنت الجالسة على المكتب فى الخارج، تحولت إلى ابتسامة طازجة، عندما قلت لها : صور بطاقة لو سمحت .

بعينه التى لا تزال مغمضة يزعق :

ــ يا للا .. ابتسامة خفيفة

أحاول أن أركب لوجهى أى ابتسامة ، أفشل .

ــ البطاقة دى هتفضل معاك لحد ما تتجوز

أجرب فتح فمى فى أوضاع بلهاء، كل صاحبات " فرح " سيتفرجن على الصورة التى أصرت أن أكتب لها " حبيبتى " على ظهرها، أشعر أننى أعرق، سيظهر العرق على جبهتى كمستنقع أخضر فى وسط الصورة

ــ ظبط نفسك .. هاعد لحد تلاتة واصور

الكم المتسخ .. " واحد "

البنت التى تحولت إلى ابتسامة .. " اتنين "

سيحسبوننى نفرًا دميمًا على الدولة .. اتنين ونص .. جاهز؟

لست جاهزًا .. سأقف .. سأ .. " تلاتة "

أغنيات جنوبية

شعبان كامل هدية
أسيوط ـ منفلوط

الأغنية الأولى :

القلـب المكلوم ينضح بالضجر، فالنجوم لا تمل التنصت على أحـزانه، فتتقاسـم أوجاعه، يتجسد بلاهة الصمت، يغط فى سبات أزلى ...

عـند مـرور القطـار يرتعش كوخه خوفاً، يهب من رقدته، يتشرنق، يطيح بالأشياء، يخترق حواجز الوعى .. أزيز الطائرات يصـم الآذان، تـتداخل عظامـه، تسحق، يتوحد مع الصخور ثم ينصهر فوق الرمال ...

وجهـه يكتسـب لون القمح، وأسرار الفراعين، جلست بجواره وهو يغمغم :

ـ المكـان يكفهـر بالصفار، وإيقاعات خطاهم المتشنجة تدب فـى وقـع رتيـب يخدش السكون، فى الصحراء المشمسة بكت البنادق، فانغمسنا فى الحفر البرميلية .. بالموت المؤجل ننتظر .. تتجشـأ القاذفـات مافى بطونها وترحل، صاحب الحظ العسر من يخرج من قبره، تتناثر أشلاؤه، تحتضنها أسراب الحمام ...

خـرج عمـى " حزين " من العشة وسار حتى النهر، ثم جلس تحت شجرة السنط، العمى يتغلغل بين طيات نفسه، انتابته تقلصات أسفل البطن، فمنذ الخامس من يونيو يتحسس الركلة التى سددها له

ابن الكلب، انتابته نوبة الغثيان، طنين الذباب يصم الآذان، يسرى مسرى الدم، همهمات الريح فى الصحراء الشاسعة تحمل له الموت المؤجـــل، أيقظت لديه الخوف القديم من الأماكن المكشوفة بالليل، اعتدل من رقدته وأخذ يحدثنى عن أبى :

ــ تحلق حوله الرفاق .. عيونه تبصر الطيور المحلقة .. فهى عاشقة للسماء التي تحمل الراحة والجمال والموت أيضًا .. انتصب الصول فى الجندية :

ــ وجه آخر قادم منٍ الجنوب

نوبات متتالية من زخات السعال تشبه نواح وابور الطحين، فى المـــدى وحيد يخدش حياء السكون الجاثم علىالرمال، تركوه دون رحمـــة يطالع جسد السراب، يهيم على وجهه فى الصحراء، كان الجو بشعًا، الجانب الأسود الذى لم يتعرف عليه، كادت روحه أنْ تتسلخ منه، صرخ، بصق، لا يدرىِ على نفسه أم على (....)، كانٍ قويًا فمنذ طفولته ألقت عليه أمُه حفِنة من ماء النهر، فصار رجلاً يهطـــل من جبينه العرق، يقف تحت ظل النخل، أو يتكور بجوار الســـاقية، يخـــط بفـــرعه على الأرض خارطة الوطن، وحده فى الظـــلام المبعثر فى الصحراء يحصى المساءات الطويلة، كم تمنى أن يحطم الجبال ليتبين سر صلادتها وشموخها، ثم يضع يده على أذنه ويشرع ..

ــ النخلة بتضحك وتميل تتاغش فى سلاحى

الأغنية الثانية :

ظلت جدتى تخبئ عيونهاٍ عند سؤالى عن عمى " حزين "، دائمًا تلتزم الصمت، انتصبت واقفًا، وأنا أرقب الأيام وهى تتكسر أسفل عينيها المجهدتين، وعند انصرافى أسمع تنهيداتها الحارة ..

عادة ما تخرج لسطح المنزل تطعم الحمام وهى ترقب الشمـــس

الراحلة إلى قبرها طواعية، تشيعها فى صمت، ضحكت للشمس ثم رفعــت ذيل جلبابها الأسود ومحت دمعتين هاربتين، ثم تمخطت، راحــت تعبث بضفائر شعرها الكبيرة التى تشبه جذوع النخيل، ثم جلســت وهى تهش ذباب الخيال، أخرجت الصورة المهترئة لأبى وهو فى زى الجندية، سألتها :

ـ كيف مات ؟

تجســدت بلاهــة الصمت، وفى عينيها دمع متحجر فى جفون يابسة ..

ذات لــيلة وجــدت جدتى تمسك بتلابيب عمى " حزين " وهى تصرخ :

ـ وديت الواد فين ؟ غدرت بيه ؟!

فــتح المدى فمه البشع وابتلعه، ما أقسى أن تنوح الجبال على ضياع الولد ... انتابته فرحة غامرة وهو يطالع ألوان العلم ترفرف علــى الضــفة الشرقية للقناة ضمن الفوج الأول بالقطاع الأوسط الصاعد إلى " تبة الشجرة "، اخضرت فى شاطئيه زهور الحقيقة، تنتشر بين انحناءات الوعود، يصبون علينا نيران جهنم ، لا سبيل للتقدم شبرًا واحدًا ، قال :

ـ إن الموت يأتى غالبا من السماء .

وكــم كانــت ابتسامته كبيرة وهو يهبط ضمن فصيلة المظلات فــوق التــبة الحصينة، فجاءت تباشير الصباح تحمل معها تحرير التــبة واخــتفاءه .. عــيون الجدة فقدت بريقها، الظلام المتغلغل فىأعماقها يلقى بها فى كهوف النسيان، فيخرج صوتها متحشرجا وهى تهذى :

ـ الصبر أطول ياعنية ولاّ طول القبر؟

فــى المساء انتابتها حالة من الرعب، أسماء كثيرة تتردد على لســانها، وصــورة أبى بدأت تلح عليها فى الذاكرة، موجات من

الضـــباب تتشكل أمامى، تتشابك لترسم صورة أبى، رغبة جامحة انتابتنى :

ـ أزور أبى

تبلدت ملامح وجهها، نهضت ثم احتضنت جرة الماء، وسارت حـــتى النهر ثم غمستها فى الماء وهى تتلو تعويذتها، سألت عمى "حزين "عن أبى :

ـ " كمـــا النخل واقف لايبيع ولا يهادن "، يطرح بذور الشمس تطرح ابتسامات فى عيون الرفاق فيلتفون حوله، كان يرجع بالليل ويـــده مخضـــبة بـــالدم، يحمل حفنة من رمل سيناء ويقول : هذا ميراث، لكنه مختلف ! كان ولوجه لعالمهم أيسر .

شـــعور طاغ بالكراهية ملأ كياني، المرة الأولى التى أعبر فيها القـــناة، الانـــبهار بجـــلال المكان، وبقايا الخط الحصين والنصب التذكارى .

فتحـــتُ الجرة، أخذتُ أنثر الماء على الرمال، اهتزت الأرض بشـــدة وهـــى تعـــانى آلامَ المخاض، انشقت كتل الصخور، أنبتت العشرات من الدبابات والجنود، ومن بينهم أبى يحمل فأسه، يقاتل من خندق إلى آخر، تجسدت لى لحظات العبور العظيمة، والجنود يطَـــئُون بأحذيـــتهم أسطورة القهر، وهم يتدافعون إلى الشرق، تبة الشـــجرة .. حصـــن الحصـــون، شاهد على صلابة الفلاح وجبن الصـــهاينة، أعلى البرج دمية خشبية تتجسد بلاهة الصمت، تنظر إلـــى السكون، طيف أبى يقاتل من خندق إلى آخر، سقوط الحصن مسألة حياة أو موت ،القادة هناك يعقدون آمالاً كبيرة عليهم ..

انتبهـــت إلى قطرات الماء التى تتسرب من بين يدى، أحكمت غلق الجرة، فابتلعت الأرض هديرها .

الدبابة المحترقة تحمل روحِ الشهيد، لفتت نظرى بزة مهترئـــة تطل من أسفلها، جذبتها، وجدتُ بقايا خطاب لم تبق منه النيـــران

سوى أحرف وكلمات مبتورة، وبقعة دم لزجة .

" وحــدى أضــمك، تكمل رقصة بكايا، تجمع الصمت المبعثر يحلف انك ما انهزمت "

الأغنية الثالثة :

فــى الصــباح اصطحبت معى فأسا ومقطفًا صغيرًا وقليلاً من الحــبوب، المذيــاع يصرخ : أول ضحية للعو....، الدول الغنية ترفض ....، جنون الــ ....، ثورات الجياع تجتاح الــ ....

أخرســت المذياع، ثم رسمت دائرة كبيرة، ورحت أحفر بهمة وعــزيمة ســرعان مــا تَسَرَّبَتا عندما ارتطمت الفأس بالصخور والرمال ..

زحفت الشمس حتى توسطت السماء، ثم راحت ترهبنى بأشعتها الملتهــبة، بصقت جانبًا، ثم تناولت جرة الماء ورفعتها فوق فمى، لكــن سرعان ما أعدتها مرة أخرى عندما ألهبتنى المياه الساخنة، لعنــت اليوم الأسود الذى أتى بى إلى هذه الصحراء، نظرت إلى الحبوب ثم ألقيت بها جانبًا، ولم أنس قبل أن أرحل أن أحطم جرة الماء ..

حملــت بقايا البزة وحفنة رمال من سيناء، عمى "حزين " كان ينتظرنى بجوار محطة القطار، فــرَدَ قماشًا أبيض، وضعت عليه اللفافــة وحفنة الرمال، حملها فى صمت، خرج الأهالى لاستقباله رافعى الرءوس، الزغاريد تنطلق من حناجر النسوة، وجدتى تجلس فى جلال أمام الدار ترتدى ثيابها البيضاء، تتشح بالخرس، بفرحة الأم الــرءوم كفكفت السيل المنهمر من الكهفين المظلمين، حملت اللفافة وقبلتها ووضعتها على عينيها فارتدت بصيرة .

بعــد عدة أيام وجدت جدتى تحمل الجرة وتتجــه إلى النهر ، غمستها فى الماء وهى تتلو تعويذتها، حَمَلــتــهــا وعدنــا إلــى

الأرض العطشى، انطلقت من حنجرتها زغرودة فرحة، حيث نبتت الحبوب بعد أن حطمتُ فوقها الجرة .

حملـــت الفأس ورحت أشق الأرض، هذه المرة لم تفلح الشمس فـــي مضــــايقتى، وكلما تسلل اليأس إلىّ ، أنظر إلى الكوخ فأشاهد جدتى تنثر الماء، فتخرج عشرات الأيادى، تنبت من باطن الأرض تحمل الفئوس ، والمذياع يصرخ :

ــ لا مكـــان للــــــ ....، مظاهـــرات ضــــد العو ....، الثلاثاء الأسود ....، الـــ ....

بنت لها رائحة الشاى

سلامة زيادة عبد السلام
بنها ـ القليوبية

فقـط .. ضـع ملعقتين من السكر وواحدة من الشاى .. انتظر حـتى يغلى الماء .. اضبط مؤشر الراديو على صوت أم كلثوم .. عـند الخامسة سينبعث صوتها .. حينها .. ضع الماء المغلى فى الكوب بحيث لا يتجاوز ثلثى الكوب .. سيتصاعد البخار .. اجعل فتحتى أنفك على أقصى اتساع لهما ..

اشهق بكل ما فى قدرتك .. عندها ستراها ..

نسـيت أن أقول : إنك بعد أن تعد الشاى بهذه الطريقة ـ لتكن حريصًـا علـى هذه الطريقة لأنك بدونها لن تراها ـ خذ الكوب وقـف بـه فى الشرفة .. لا تتعذر أنك بلا شرفة..لكل منا شرفته الخاصـة .. وقد تكون أكثر حظًا وتمر من أمامك .. مرات كثيرة ستمر بمفردها .. تتطلع إليك وأنت لاتكف عن عمل شاى الخامسة وانتظارها .. حتى تمر وهى فى يد آخر غيرك، عندها ستبكى .. تبكى وتتذكر وقفة "أبى عبد الله" عند حدود غرناطة ..

هل تساوى البنت غرناطة ؟ نعم تساويها .. وأكثر .. أعلم أنكم تشتاقون كى أصفها لكم .. لا أستطيع .. ليستدعى كل منكم أفراس تخيله عند ذلك سيراها كما أراها أنا .

لـى رجاء عندكم .. ليرفع كل منكم يده ويصفع الآخر .. حتى تصـلوا إلى .. هنا .. حينها ضموا أيديكم معًا واصفعونى صفعة رجل واحد !

كـــيف اكتفيـــت أنا .. أنتم .. برؤيتها عند تصاعد أبخرة شاى الخامسة ؟

ولأنـــى ضحكت عليكم .. فهذه البنت التى أراها وأستحلفكم أن تفعلـــوا فعلـــى كى تروها هى البنت التى أحببتها .. أحببتموها .. والـــتى تزوجـــت القادم من بلاد الثلج وذهبت إلى مدينة بعيدة ولا تـــأتى إلا فى الأعياد .. وكلما مرت أمام شرفتى .. شرفتكم .. لا تلعنـــنى .. فقط تقول لابنتها .. فى هذا البيت يسكن رجل ما يزال يجهل مبادئ الحساب !

مسابقة نجلاء محود محرم للقصة القصيرة

(الدورة الثالثة ٢٠٠٣)

شروط المسابقة :

١ــ موضوع المسابقة مفتوح ولجميع الأعمار .

٢ــ يتقدم المتسابق بعمل واحد فقط .

٣ــ يقــدم العمــل مــن أربع نسخ مطبوعة ولن يلتفت للأعمال المكتوبة بخط اليد .

٤ــ ألا يكون العمل قد سبق له الفوز فى إحدى المسابقات .

٥ــ ألا يكون العمل قد نشر فى كتاب : " الفائزون " .

٦ــ ألا يــزيد العمــل عن خمس صفحات فلوسكاب أو ما يعادل ١٥٠٠ (ألفًا وخمسمائة) كلمة .

٧ــ مــن حق مجلس إدارة المسابقة اختيار أى عمل من الأعمال المشاركة للنشر فى الكتاب التوثيقى " الفائزون " الصادر بهذه المناسبة .

٨ ــ لا ترد الأعمال المشاركة إلى أصحابها .

٩ــ يُــرفق بــالعمل صورة البطاقة الشخصية وورقة مستقلة بها بيانات المتسابق على النحو التالى :

أ ــ اسم العمل الأدبى . ب ــ اسم المتسابق الثلاثى .

ج ــ العنوان كاملاً ورقم الهاتف .

د ــ قائمة بالمؤلفات المطبوعة (إن وجدت) .

١٠ــ آخر موعد لتلقى الأعمال: ٢٠٠٣/٥/٣٠ .

١١ــ لــن يلتفت إلى الأعمال التى تخالف أى شرط من الشروط السابقة .

١٢ـــ تعلـــن أســـماء الفائزيـــن فى الأسبوع الأخير من أغسطس ٢٠٠٣ .

١٣ـــ ترسل الأعمال المشاركة على العنوان التالى :

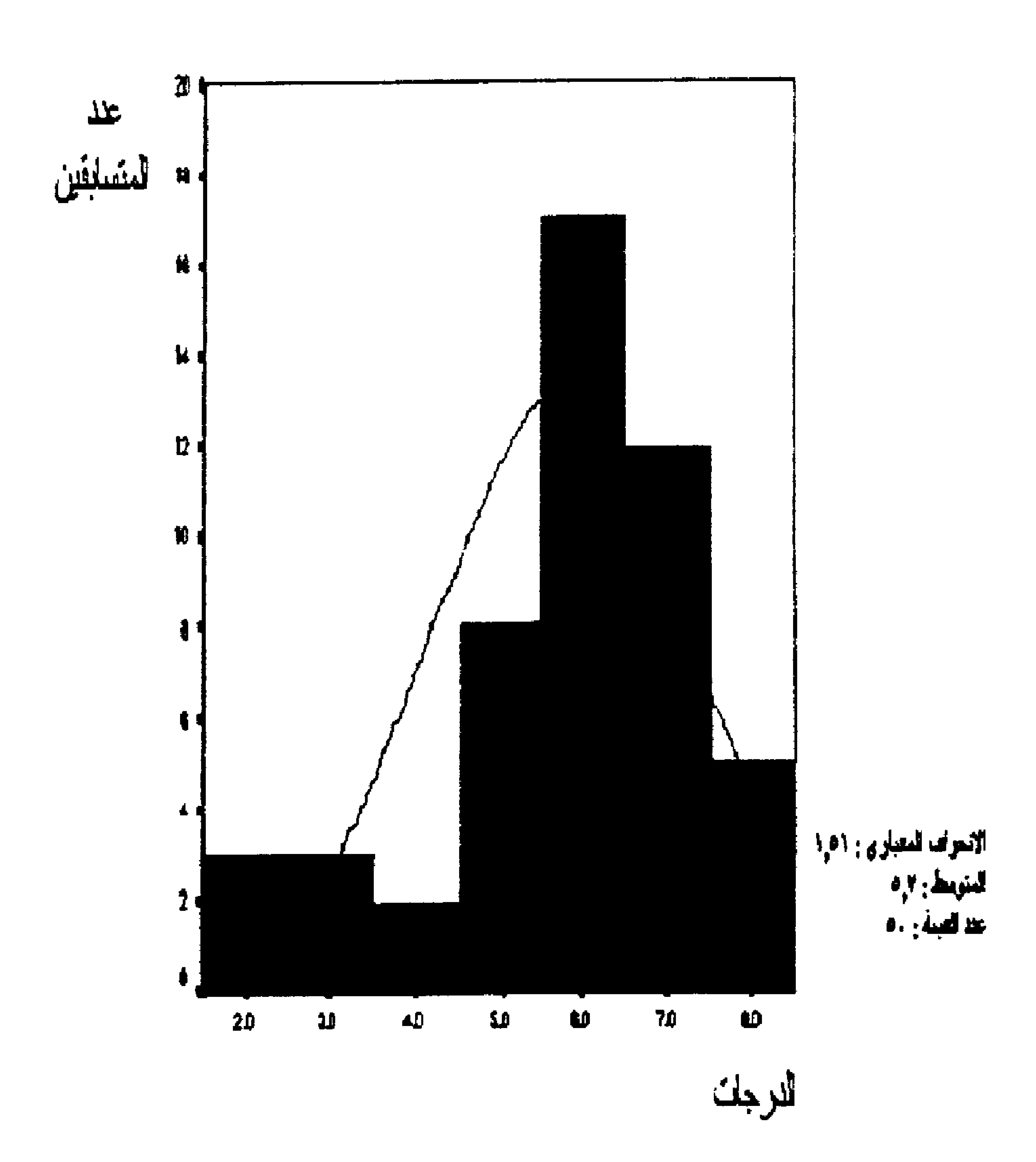
الزقازيق ـ ص. ب ٨٥ ***مسابقة نجلاء محمود محرم***

جوائز المسابقة :

- الجائزة الأولى : ١٠٠٠ جنيه مصرى
- الجائزة الثانية : ٧٠٠ جنيه مصرى
- الجائزة الثالثة : ٥٠٠ جنيه مصرى
- الجائزة الرابعة : ٣٠٠ جنيه مصرى
- الجائزة الخامسة : ٢٠٠ جنيه مصرى

ـ تطبع الأعمال الفائزة والمتميزة فى الكتاب التوثيقى: "الفائزون" الخاص بالمسابقة .

رسم بيانى يوضح درجات عينة عشوائية قوامها خمسون متسابقًا



فهرس

